الموسوعة الندية في الآداب الإسلامية

الأدب مع الله تعالى (٢)

الشيخ ندا أبو أحمد

الموسوعة الندية في الآداب الإسلامية

(2)

الأدب مع اللّه تعالى

الشيخ/ندا أبو أحمد

الأدب مع الله تعالى

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:1)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:70،71)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

الأدب مع الله تعالى:

الأدب الأول: توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به:

الأدب الثاني: إخلاص العبادة لله تعالى:

الأدب الثالث: معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتقلُّب العبد في رياض هذه المعرفة:

الأدب الرابع: تعظيم الله تعالى وإجلاله: الأدب الخامس: تقديم محبة الله تعالى فوق أي محاب:

الأدب السادس: الاستحياء من الله تعالى في السر والعلانية:

الأدب السابع: موافقة الله تعالى في كل ما يحبه ويرضاه:

الأدب الثامن: الرضا بقضاء الله تعالى وقدره: الأدب التاسع: أن لا تشكو الله تعالى إلى خلقه:

الأدب العاشر: حسن الظن بالله تعالى:

الأدب الحادي عشر: ألا يُتحاكم إلا إلى شرع الله تعالى: الأدب الثاني عشر: التوكل على الله تعالى:

الأدب الثالث عشر: أن تؤثر رضى الله تعالى على رضى الخلق جميعًا:

الأدب الرابع عشر: غيرة العبد لله، وغيرته على الله تعالى:

الأدب الخامس عشر: عدم تجاوز حدود العبودية بالتحليل والتحريم:

الأدب السادس عشر: حفظ حدود الله تعالى وأوامَرَه ونواهيَه:

الأدب السابع عشر: تدبر كلام الله تعالى: الأدب الثامن عشر: عدم التألي على الله تعالى:

الأدب التاسع عشر: انكسار القلب بكلِّيّته بين يدي الله تعالى:

الأدب العشرون: مباعدة كلِّ سببٍ يحول بين القلب وبين الله عزّ وجلّ:

الأدب الحادي والعشرون: ومن الأدب مع الله: ستر العورة:

الأدب الثاني والعشرون: الخوف من الله تعالى:

الأدب الثالث والعشرون: ألا يبارز المرء الله تعالى بالمعصية:

الأدب الرابع والعشرون: اتِّبَاعُ النبي صلى الله عليه وسلم:

الأدب الخامس والعشرون: عدم الجدال في الله تعالى بغير علم:

الأدب السادس والعشرون: عدم الإلحاد في أسماء الله تعالى:

الأدب السابع والعشرون: ألا يحلف المرء بغير الله تعالى:

الأدب الثامن والعشرون: الإمساك عن كل كلام يوهم النقص في حق الله تعالى:

الأدب التاسع والعشرون: الأدب مع الله تعالى أثناء الإعراب:

الأدب الثلاثون: ألا ينسب لله تعالى إلا كل جميل:

الأدب مع الله تعالى:

مقدمة:

الله-عز وجل- له جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وله نعوت الجلال، وصفات الكمال، وهو سبحانه خالق كل شيء، ورازق كل حي، أحاط بكل شيء علمًا، وكل شيء عنده لأجَلٍ مسمى، يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويضر وينفع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما يمنع، يكور الليل على النهار، ويكور النهار على الليل، يعلم الأسرار، ويقبل الأعذار، وكل شيء عنده بمقدار، وهو أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، يعطي عبده قبل أن يسأله، ويشكر على القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل، ويسأله من في السماوات والأرض، كل يوم هو في شأن، لا يشغله سمع عن سمع، ولا تختلط عليه كثرة المسائل، ويحب الملحين في الدعاء، ويغضب إذا لم يُسأل، تتوجه له الوجوه طوعًا، وتسجد له القلوب حبًا.

قال ابن القيم-رحمه الله- في" كتابه الداء والدواء ص:336": " الله-عز وجل- يُجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيُقِيلُ الْعَثَرَاتِ، وَيَغْفِرُ الْخَطِيئَاتِ، وَيَسْتُرُ الْعَوْرَاتِ، وَيَكْشِفُ الْكُرُبَاتِ، وَيُغِيثُ اللَّهَفَاتِ، فَهُوَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ، وَأَحَقُّ مَنْ شُكِرَ، وَأَحَقُّ مَنْ عُبِدَ، وَأَحَقُّ مَنْ حُمِدَ، وَأَنْصَرُ مَنِ ابْتُغِيَ، وَأَرْأَفُ مَنْ مَلَكَ، وَأَجْوَدُ مَنْ سُئِلَ، وَأَوْسَعُ مَنْ أَعْطَى، وَأَرْحَمُ مَنْ اسْتُرْحِمَ، وَأَكْرَمُ مَنْ قُصِدَ، وَأَعَزُّ مَنِ الْتُجِئَ إِلَيْهِ، وَأَكْفَى مَنْ تُوُكِّلَ عَلَيْهِ، أَرْحَمُ بِعَبْدِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا، وَأَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ التَّائِبِ مِنَ الْفَاقِدِ لِرَاحِلَتِهِ الَّتِي عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فِي الْأَرْضِ الْمُهْلِكَةِ إِذَا يَئِسَ مِنَ الْحَيَاةِ ثُمَّ وَجَدَهَا. وَهُوَ الْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْفَرْدُ فَلَا نِدَّ لَهُ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، لَنْ يُطَاعَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَنْ يُعْصَى إِلَّا بِعِلْمِهِ، يُطَاعُ فَيَشْكُرُ، وَبِتَوْفِيقِهِ وَنِعْمَتِهِ أُطِيعَ، وَيُعْصَى فَيَغْفِرُ وَيَعْفُو، وهُوَ أَقْرَبُ شَهِيدٍ، وَأَجَلُّ حَفِيظٍ، وَأَوْفَى بِالْعَهْدِ، وَأَعْدَلُ قَائِمٍ بِالْقِسْطِ، حَالَ دُونَ النُّفُوسِ، وَأَخَذَ بِالنَّوَاصِي وَكَتَبَ الْآثَارَ، وَنَسَخَ الْآجَالَ، فَالْقُلُوبُ لَهُ مُفْضِيَةٌ، وَالسِّرُّ عِنْدَهُ عَلَانِيَةٌ، وَالْغَيْبُ لَدَيْهِ مَكْشُوفٌ، وَكُلُّ أَحَدٍ إِلَيْهِ مَلْهُوفٌ، وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِنُورِ وَجْهِهِ، وَعَجَزَتِ الْقُلُوبُ عَنْ إِدْرَاكِ كُنْهِهِ[1]، وَدَلَّتِ الْفِطَرُ وَالْأَدِلَّةُ كُلُّهَا عَلَى امْتِنَاعِ مِثْلِهِ وَشِبْهِهِ، أَشْرَقَتْ لِنُورِ وَجْهِهِ الظُّلُمَاتُ، وَاسْتَنَارَتْ لَهُ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَصَلُحَتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، وَلَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ[2] مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ[3]". اهـ بتصرف

1- أي: إدراك كيفية صفاته.

2- سبحات وجهه: بَهاءه وعَظَمَته وجَلاله ونُوره.

3- كما جاء في حديث مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله:" إن الله لا ينام".

– تمت كلماته صدقا وعدلًا، وجلت صفاته أن تقاس بصفات خلقه شبها ومثلا، وتعالت ذاته أن تشبه شيئا من الذوات أصلا، ووسعت الخليقة أفعاله عدلًا، وحكمة، ورحمة، وإحسانا وفضلا. صفاته كلها صفات كمال، ونعوته كلها نعوت جلال.

– هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء تبارك وتعالى، ما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله، وما من آخر إلا والله بعده. علا على كل شيء بظهوره، ودنا من كل شيء ببطونه فلا تواري منه سماءٌ سماءً ولا أرض أرضًا، ولا يحجب عنه ظاهرٌ باطنًا، بل الباطن له ظاهر والقريب منه بعيد.

قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(3) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ **(سورة الحديد:3،4)**

– هو الملك لا شريك له، والفرد لا ند له، والغني فلا ظهير له، والصمد فلا ولد له، ولا صاحبة له، والعلي فلا شبيه له ولا سمي له. كل شيء هالك إلا وجهه، وكل ملك زائل إلا ملكه، وكل ظل قالص إلا ظله، وكل فضل منقطع إلا فضله.

– لو أن أهل سماواته وأهل أرضه وأول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئًا، ولو أن خلقه أولهم وآخرهم إنسهم وجنهم كانوا على أفجر قلب رجل منهم ما نقص ذلك من ملكه شيئًا.

– لو أن أشجار الأرض كلها من حين وجدت إلى أن تنقضي الدنيا أقلام، والبحر وراءه سبعة أبحر تمده من بعده مداد، فكتب بتلك الأقلام، وذلك المداد لفنيت الأقلام ونفد المداد ولم تنفد كلمات الملك الوهاب.

– سبحان من لا يموت، سبحان من تكفل بالقوت، سبحان من صور الأجنة، سبحان من له المَنَّة، سبحان من وهب النور في الأبصار، وسكب الضياء في النهار، جل في علاه، تقدس عن الأشياء، لا إله إلا إياه، لا نعبد سواه، غالب فلا يقهر، وشاء فلا يجبر، أغنى وأقنى، وأضحك وأبكى، ظهرت آياته، بهرت بيناته، حسنت صفاته، تباركت ذاته، تلألأت بأجل المحامد أسماؤه، توالت بأسنى الهبات ألاؤه، تواترت بأبرك الخيرات نعماؤه، جمل اختياره واصطفاؤه. ما أحسن جميله، ما أوضح تفصيله، ما أيسر تسهيله، ما أصدق قيله.

– لا إله إلا الله يفعل ما يريد، لا إله إلا الله يبدأ ويعيد، لا إله إلا الله ذو العرش المجيد والبطش الشديد، لا إله الا

الله ندخرها ليوم الوعيد. لا إله إلا الله ترضيه، لا إله إلا الله بها نلاقيه، لا إله إلا الله تملأ الكون وما فيه، لا إله إلا الله في علاه، لا نعبد إلا إياه، ولا ندعو سواه، تفضل بالجميل، وأعطى الجزيل، وشفا العليل، وأزاح الهم الثقيل.

- كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ، فهو سبحانه غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ، مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ.

الأدب مع الله:

قال أبو حفص السهروردي-رحمه الله-:" الأدب مع الله باتباع أوامره وإيقاع الحركات الظاهرة والباطنة على مقتضى التعظيم والإجلال والحياء ". **(مدارج السالكين:2/ ٣٩٢)**

الأدب الأول: توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به[1]:

والتوحيد هو حق الله على العبيد، وهو أول ما دعا إليه الرسل، وبه كل كتاب نزل، وهو أصل الأصول، والطريق الموصل، وبه عُرِفَ المعبود، وعُمِر الوجود، ولأجله أُعِدَّت الجنة والنار، وسُلَّ السيف البتار، وقُوتِلَ الكفار، ولإقامته في الأرض دعت الأنبياء، وعُلِّمتِ العلماء، وقتل الشهداء، وهو أول مطلوب، وأعظم محبوب، وهو أشرف المقاصد، وأعذب الموارد، وأجل الأعمال، وأحسن الأقوال وهو أول الأبواب، وبداية الكتاب، وأعظم القضايا، وأهم الوصايا، وخير زاد، يحمله العباد، ليوم التناد، وهو قرة عيون الموحدين، وبهجة صدور العابدين، وهو غاية الآمال، وأنبل الخصال، بل هو أعظم الكفارات، وأرفع الدرجات، وأكبر الحسنات، وهو منشور الولاية، وتاج الرعاية، والبداية والنهاية، وهو الأكسير الذي إذا وُضع على جبال الخطايا ذابت، والسلاح الذي إذا حوربت به الأعداء هَابت ".

قال أبو معاذ الرازي-رحمه الله-:" لو تكلمت الأحجار، ونطقت الأشجار، وخطبت الأطيار، لقالت: لا إله الا الله الملك القهار، ولما قال فرعون اللعين: ﴿**فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ فكأنه لكمه بالجواب، ولطمه بالخطاب.

ولما قال إبراهيم ﷺ للنمرود العنيد: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ**﴾ بهت وكذب، وخسر وعُذِّب. وهذا لظهور آيات التوحيد وقوة سلطانه، وعزة أهله وأعوانه، وقد صبغ يحيى بن زكريا التوحيد بدمائه، ومزج حمزة التوحيد بأشلائه. ولما ذاقه جعفر، تقطع وبالرمل تعفر، وذبح الخلفاء على بساطه، وضرب الأئمة على التوحيد بأيدي الظلم وسياطه، ونحر الشهداء على فراش التوحيد وبلاطه، وكم من موحدٍ وُضِعَ في الزنزانة، لما أعلن إيمانه.

1- للمؤلف رسالة عن فضل التوحيد ضمن سلسلة "الكتاب الجامع للفضائل"، فارجع إليها فضلًا لا أمرًا.

ولما نطق حبيب بن زيد بكلمة التوحيد، عند مسيلمة الكذاب العنيد، قَطَّعَه بالسيف فما أَنَّ، ولا قال له تأنَّ، بل اشتاق إلى الجنة وحَنَّ.

ولما ذهبوا بعبد الله بن حُذافة إلى القدور، والجثث فيها تدور، والتوحيد في قلبه يمور، بكى وقال:" يا ليت لي بعدد شعر رأسي أرواحًا، لتذوق في سبيل الله سيوفًا ورماحًا ".

وضُرِبَ طلحة يوم أُحُدٍ بالسيوف والرماح، فما شكى ولا صاح، حتى سال بالدم جبينه، وشلت يمينه، وثبت دينه، لأن التوحيد قرينه.

وقاتل مصعب قِتَالَ الأسود، حتى وُسِّد اللحود، لأنه وحد المعبود... واعلم أن صدق التوحيد أقام بعض الأولياء، في الليلة الظلماء، في ذروة الشتاء، يتوضأ بالماء، ويقطع الليل بالصلاة والدعاء، والمناجاة والبكاء.

وحرارة التوحيد أيقظت في الصالحين ذكرَ الله كل حين، فلهم بالتسبيح زجل وحنين، وعزيمة التوحيد دفعت المنفقين، وجعلتهم بأموالهم متصدقين على الفقراء والمساكين، إذا ناداك نوح التوحيد، وقال: اركب معنا أيها العبد الرشيد، فلا تفوتك سفينة الحميد المجيد، ". اهـ

وجد إبراهيم بن أدهم ورقة مكتوب فيها لفظ الجلالة (الله)، وقد سقطت في الطريق فبكى وحملها، وطهرها وطيبها، فطهر الله نفسه. وطيب اسمه. وقد أوصى النبي ﷺ لمعاذ بن جبل أن يكون أول ما يدعو إليه توحيد الله ﷻ وكان يبدأ بالتوحيد خطبه، ويخط به كتبه، ويدعو إليه ليلًا ونهارًا، وسرًا وجهارًا. **(عذب الأمواه للعفاني حفظه الله ص:189-191)**

وإخلاص التوحيد، ونبذ الشرك من الأمور المهمة، بل هي أهم الأمور، وقد أُفردت لها المجلدات، وتناولها العلماء بالشرح والتحليل، ولا يتسع المقام هنا للكلام عن هذا الموضوع المهم، إنما هذه فقط إشارات لبيان أهمية الأمر.

فالله تعالى خلق العباد ليعرفوه وبالعبادة يُفردُوه، فلا إله غيره ولا معبود بحقٍ سواه، فالله تعالى لم يَخْلُق الخلقَ سُدى ولم يتركهم هملًا، **بل خلقهم لغاية أجْمَلَها في قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات: 56)**

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (سورة النساء: 36)

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (سورة الأنعام: 151)

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنا

أولُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة الأنعام:163،162)

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (سورة النحل: 36)

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (سورة الإسراء: 23)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث معاذ بن جبل ﷺ قال: كنتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ على حمارٍ، فقال لي: يا مُعاذُ، أتدري ما حَقُّ اللهِ على العِبادِ، وما حَقُّ العِبادِ على اللهِ؟ قُلتُ: اللهُ ورَسولُه أعلَمُ، قال: حَقُّ اللهِ على العِبادِ أن يَعبُدوه ولا يُشرِكوا به شَيئًا، وحَقُّ العِبادِ على اللهِ ألَّا يُعَذِّبَ مَن لا يُشرِكُ به شيئًا ".

وليس للإنسان أن يشرك مع الله غيره، فالأدلة العقلية والنقلية والفطرية والحسية تدل على وحدانية الله تعالى، ولقد شهد الله تعالى لنفسه بذلك، وشهد له بذلك ملائكته الكرام البررة، وكذلك شهد أهل العلم لربهم بالوحدانية.

قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(آل عمران:18)

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (سورة طه:98)

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (سورة البقرة: 255)

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (سورة طه:8)

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ (سورة غافر:62)

وقال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة البقرة:163)

والتوحيد أول دعوة الرسل:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله– في كتابه" قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص:16:" والتوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينًا غيره، وبه أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، كما قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ (سورة الزخرف:45)

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أنا فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء:25)

وقد ذكر الله تعالى أن كل رسول كان يفتتح دعوته بأن يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ (سورة هود:50). اهـ

ومما يدل على أن التوحيد هو أول ما كان يدعو إليه النبي ﷺ أنَّه عندما أرسل معاذًا بن جبل ﷺ إلى أهل اليمن أمره أن يدعوهم أولًا إلى توحيد الله تعالى.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس–رضي الله عنهما– قال:" لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى نحو أهل اليمن، قال له:" إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله

افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوقَّ كرائم أموال الناس". – وفي رواية عند البخاري:" فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ".

– وفي رواية:" ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأَنِّي رسول الله ".

والتوحيد أعظم أركان الإسلام ومبانيه العظام:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر–رضى الله عنهما– قال:" بُني الإسلام على خمسٍ: على أن يُوَحَّدَ الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج". فقال رجل: الحج وصيام رمضان؟ قال: لا: صيام رمضان، والحج ". هكذا سمعته من رسول الله ﷺ.

والتوحيد أفضل ما يقدمه العبد من الأعمال:

فقد أخرج الإمام أحمد عن ماعز التميمي ﷺ عن النبي ﷺ: أنه سُئِلَ أي الأعمال أفضل؟ قال:" إيمان بالله وحده، ثم حجة برة تفضل سائر الأعمال، كما بين مطلع الشمس إلى مغربها ".

والتوحيد أول ما يدخل به الإنسان في الإسلام، وهو آخر ما يخرج به من الدنيا:

يقول ابن القيم–رحمه الله– كما في "مدارج السالكين:3/482":" فالتوحيد أول ما يدخل به الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي ﷺ كما في سنن أبي داود بسند صحيح:" من كان آخر كلامه لا إله الا الله، دخل الجنة ". فهو أول واجب وآخر واجب، فالتوحيد: أول الأمر وآخره ". اهـ

ومن صور الشرك التي انتشرت في هذا الزمان: طلب قضاء الحوائج من أصحاب القبور:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–:" ومن أعظم الشرك أن يستغيث الرجل بميت أو غائب، فيقول: "يا سيدي فلان" كأنه يطلب منه إزالة ضره، أو طلب منفعته، وهذا حال النصارى في المسيح وأمه وأحبارهم ورهبانهم، ومعلوم أن خير الخلق وأكرمهم على الله نبينا محمد ﷺ وأعلم الناس بقدره وحقه أصحابه، ولم يكونوا يفعلون شيئًا في ذلك لا في مغيبه، ولا بعد مماته. اهـ

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ (الأحقاف:5)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة الأعراف:194)

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ(20)أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (سورة النحل:20،21)

وقال تعالى:﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (13) إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (سورة فاطر:13،14)

قال ابن القيم –رحمه الله–: ومن أنواع الشرك طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتَّوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فضلًا عمَّن استغاث به، وسأله أن يشفع له إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده. اهـ

الأدب الثاني: إخلاص العبادة لله تعالى:

وهذا الأدب متعلق بالأدب السابق لا ينفك عنه، إذ يلزم من عبادة الله وتوحيده؛ الإخلاص في هذه العبادة. فمما لا شك فيه أن الله خلقنا لعبادته، **فقال سبحانه:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات: 56)

ثم أمرنا بعد ذلك بالإخلاص في هذه العبادة، **فقال عز وجل:**﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (سورة البينة:5)

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾(سورة الزمر:11)

والإخلاص شرط لقبول الأعمال والأقوال والأحوال:

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (سورة الملك:2)

قال الفضيل بن عياض–رحمه الله–:" أَحْسَنُ عَمَلًا" هو: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ **فقال:** إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (سورة الكهف: 110)

قال ابن كثير–رحمه الله– في تفسير الآية السابقة:3/114": وهذان ركنا العمل المتقبل، لابد أن يكون خالصًا

لله صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ ". اهـ

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ **(سورة النساء: 125)**

فإسلام الوجه: إخلاص القصد والعمل لله، **والإحسان فيه:** متابعة رسول الله ﷺ وسنته. **(مدارج السالكين لابن القيم:90/2)**

فبالإخلاص تتحقق صحة الباطن، وبموافقة السنة تتحقق صحة الظاهر وخلاف ذلك مردود على صاحبه، **كما قال تعالى:** ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ **(الفرقان: 23)** وهي الأعمال التي أريد بها غير وجه الله، أو التي كانت على غير السنة.

– وأخرج أبو داود والنسائي بسند حسن من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ: أن رجلًا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: أرأيتَ رجلًا غزا يلتمس الأجرَ والذكرَ ماله؟ فقال رسول الله ﷺ:" لا شيءَ له"، فأعادها ثلاث مرات، ويقول الرسول ﷺ:" لا شيء له"، ثم قال:" إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا، وابتغي به وجهه ". (الصحيحة:52) (صحيح الترغيب والترهيب: 8)

– أخرج الطبراني عن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال:" الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما ابتغي به وجه الله ". (صحيح الترغيب والترهيب:9)

واعلم–وفقنا الله وإياك– أن الشرط العام في قبول جميع أنواع الطاعات والفوز بأجرها وثوابها هو الإخلاص، وكل عمل لا يصدر عن إخلاص فهو إلى الهلاك أقرب، **وقد قال سهل بن عبد الله التستري–رحمه الله–:** " العلم كله دنيا والآخرة منه العمل، والعمل كله هباءٌ إلا بالإخلاص، **وقال أيضًا:**" الناس موتى إلا العلماء، والعلماء سكارى إلا العاملين، والعاملون مغرورون إلا المخلصين، والمخلصون على وجل حتى يعلم ما يختم لهم به[1]".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله– كما في" مجموع الفتاوى:51/10:" إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه، وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة أهل الإيمان، وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه، وقد أخبر سبحانه أن الأولين والآخرين إنما أمروا بذلك في غير موضع **فقال تعالى:** ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا

1– للمؤلف رسالة عن فضل الإخلاص ضمن سلسلة "الكتاب الجامع للفضائل"، فارجع إليها فضلًا لا أمرًا.

جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ(4) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (البينة:4،5) وهذا حقيقة لا إله إلا الله، وبذلك بعث جميع الرسل ". اهـ

ويقول يحيى بن معاذ–رحمه الله–:" اتقوا الله الذي إليه معادكم، وانظروا ألا تكونوا ممن يعرفهم جيرانهم وإخوانهم بالخير والإرادة والزهادة والعبادة وحالكم عند الله على خلاف ذلك. فإن الله إنما يجزيكم على ما يعرف منكم لا على ما يعرفه الناس، ولا تكونوا ممن يولع بصلاح الظاهر الذي هو للخلق ولا ثواب له بل عليه العقاب ويدع الباطن الذي هو لله وله الثواب وعليه العقاب ".

الأجر والثواب يتوقف على الإخلاص:

قال تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أو مَعْرُوفٍ أو إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ **(سورة النساء: 114)**

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" بَشِّرْ هذه الأمةِ بالسناءِ والرفعةِ والدينِ والتمكينِ في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب ". (صحيح الترغيب والترهيب: 23) (صحيح الجامع: 2825)

– وأخرج الإمام أحمد عن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءًا ".

(صحيح الترغيب والترهيب: 32) (صحيح الجامع: 1555)

الأدب الثالث: معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتقلُّب العبد في رياض هذه المعرفة:

وهذا الباب الذي يدخل منه خواصّ أولياء الله العارفين به، وكلما بدا لهم منه علم؛ ازدادوا أدبًا وشوقًا ومحبة لله تعالى، فإذا انضمّ داعي الإحسان والإنعام إلى داعي الكمال والجمال لم يتخلف أحدٌ في التأدب ومحبة من هذا شأنه؛ إلا أردأ القلوب وأخبثها وأبعدها عن كل خير، فإن الله فطر القلوب على محبة المحسن الكامل في أوصافه وأخلاقه، وإذا كانت هذه فطرة الله التي فطر عليها قلوب عباده؛ فمن المعلوم أنه لا أحد أعظم إحسانًا من الله، ولا شيء أكمل من الله، ولا شيء أجمل من الله، فكل جمال وكمال في المخلوق أصلًا من آثار صنعة الله تعالى.

لا يُوصف جلاله وجماله، ولا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه بجميل صفاته وعظيم إحسانه وبديع أفعاله بل هو كما أثنى على نفسه، **وها هو النبي ﷺ أعرف خلقه به وأحبهم إليه يقول:" لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ". (رواه مسلم)** فلا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه البتة.

كل اسم من أسمائه تعالى وكل صفة من صفاته تقود إلى التأدب معه ومحبته؛ إذ ليس في أفعاله عبث ولا في أوامره

سفه، بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والمصلحة والعدل والفضل والرحمة، وكل واحد من هذه يستوجب حمدًا وثناء على الله تعالى.

فإذا لله الأسماء والصفات التي يُحَبُّ لأجلها، ومن تأمل في أسمائه وصفاته ازداد محبة له وتأدبًا معه، ولو شهد العبد بقلبه صفةً واحدة لله من أوصاف كماله استدعت المحبة التامة، والأدب التام معه، فكيف إذا شهد بقية الصفات؟ فكيف إذا شهد الأسماء والأفعال؟ وما نعلمه نحن عن الله وأسمائه وصفاته ليس إلا كنقرة عصفور في بحر.

ولا نعرف الله تعالى معرفة مشاهدة بالعين؛ بل ما عرفناه إلا من خلال الأسماء والصفات، وما وصل إلى العباد من العلم بالله عن طريق الوحي، وما رأوه في الواقع هو آثار أسماء الله وصفاته فاستدلوا بما علموه على ما غاب عنهم فكيف لو شاهدوا ذات الرب ووجه الكريم؟! ولذلك فلو شاهدوه ورأوا جلاله وجماله وكماله سبحانه؛ لكان لهم في حبه والتأدب معه شأن آخر، ولذلك إذا رأوه في الجنة أشغلهم عن كل نعيم آخر.
وإنما تتفاوت منازلهم ومراتبهم في محبته على حسب تفاوت مراتبهم في معرفته والعلم به، ولذلك كانت رسله أعظم الناس أدبًا معه، وحبًّا له، فهم أعرفهم به، وكذلك العلماء هم أكثر الناس أدبًا معه ومحبة له؛ لأنهم يعرفون من الأسماء والصفات ومعاني الأسماء والصفات وآثارها ما لا يعرفه عامة الناس، وهذا بحر لو تبحر فيه الناس ما وصلوا إلى منتهاه. وكلما أكثر القلب من مطالعة أسماء الله وصفاته وأفعاله؛ ازداد أدبًا معه، محبةً له.

قال ابن القيم–رحمه الله–كما في مدارج السالكين:384/2":" ولا يستقيم لأحدٍ قطُّ الأدبُ مع الله، إلَّا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه، وما يحبُّ وما يكره، ونفس مستعدَّة قابلة ليِّنة، متهيئة لقبول الحقِّ عِلْمًا وعَمَلًا وحالا، والله المستعان ". اهـ

وقال ابن القيم–رحمه الله–أيضًا:" من تأمَّل أسماءَ اللهِ وصِفاتِه وتعلَّق قَلبُه بها، طَرَحه ذلك على بابِ المحَبَّةِ، وفَتَح له من المعارفِ والعلومِ أمورًا لا يُعَبَّرُ عنها ". **(مفتاح دار السعادة:811/2)**

وقال ابن القيم أيضًا–رحمه الله–:" فإن أوصاف المدعو إليه، ونعوت كماله وحقائق أسمائه، هي الجاذبة للقلوب إلى محبته وطلب الوصول إليه؛ لأن القلوب إنما تحب من تعرفه وتخافه وترجوه، وتشتاق إليه وتلتذ بقربه وتطمئن إلى ذكره، بحسب معرفتها بصفاته ". **(مدارج السالكين:332/2)**

وهذا المعنى قرره الحسن البصري–رحمه الله– بعبارة وجيزة عندما قال:" مَن عرَف ربَّه أحبَّه، ومن عرف الدنيا زهد فيها ". **(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص:332)**

فإذا حصلت المعرفة، تبعتْها المحبة، وهل في الوجود أجلُّ وأعلى، وأشرف وأكمل، وأعظم مِن خالق الأشياء ومبدعها، ومبديها ومعيدها ومدبِّرها؟! وكلما ازداد العبد علمًا بالله وأسمائه وصفاته وربوبيته وألوهيته؛ ازداد أدبًا معه، وحبًا له، وخوفًا منه، وتوكلًا عليه.

قال ابنُ القَيِّمِ–رحمه الله– في" كتابه روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص: 406":" كُلَّما ازدادت مَعرِفةُ العَبدِ برَبِّه ازدادت هيبتُه له وخشيتُه إيَّاه، **كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: 28)** أي: العُلَماءُ به، **وقال النبيُّ ﷺ:" إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية".**

(أخرجه البخاري ومسلم من حَديثِ عائشة رَضِيَ اللهُ عنها)

وقال ابنُ كثير–رحمه الله–:" إنَّما يخشاه حَقَّ خَشيتِه العُلَماءُ العارفون به؛ لأنَّه كُلَّما كانت المعرفةُ للعظيمِ القديرِ العليمِ الموصوفِ بصِفاتِ الكَمالِ المنعوتِ بالأسماءِ الحُسنى؛ كُلَّما كانت المعرفةُ به أتمَّ، والعِلمُ به أكمَلَ– كانت الخشيةُ له أعظَمَ وأكثَرَ". **(تفسير ابن كثير:6/ 544)**

وقال الدكتور ضياء الدين الجماس: إن التفكر الدائم المستمر بأسماء الله تعالى، وفهم معانيها؛ يجعل القلب محبًا لهذه الذات العظيمة، الكاملة. الجميلة. فالقلب مفطور على حب الكمال والجمال الإلهي ".

(التفكر في الأسماء طريق العلماء)

وأخرج البخاري عن عائشة–رضي الله عنها– أنَّ النبيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا علَى سَرِيَّةٍ[1]، وكانَ يَقْرَأُ لأصْحَابِهِ في صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بقُلْ هو اللَّهُ أحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذلكَ للنبيِّ ﷺ، فَقالَ: سَلُوهُ لأيِّ شيءٍ يَصْنَعُ ذلكَ؟، فَسَأَلُوهُ، فَقالَ: لأنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وأَنَا أُحِبُّ أنْ أقْرَأَ بهَا، فَقالَ النبيُّ ﷺ: أخْبِرُوهُ أنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ ".

الأدب الرابع: تعظيم الله تعالى وإجلاله:

من الناس من لا يعرفون قدر الله تعالى وعظمته، فتراهم يسبون دين الله، بل هناك من يسب الله تعالى، وهناك من ينسب له الزوجة أو الولد– تعالى الله عما يقولون علو كبيرًا– وهناك من يصف الله بأوصاف لم يصف اللهُ بها نفسه، ولم يصفه بها رسوله ﷺ، وهناك من يتعد حدود الله فيتجرأ على معاصيه، ولا يراعي نظر الله تعالى له، فتراه يجهر بالمعصية، وهناك من يصرخ بأعلى صوته ويقول: لو ربنا نزل لي ما فعلتُ كذا وكذا، كل هذا يدل على عدم تعظيم الله تعالى، وسوء أدب معه سبحانه.

– مِن الأدب مع الله عز وجل تعظيمُ اسمه، فكلما كتب اسم الله تعالى أتبعه بالتعظيم، مثل: تعالى أو سبحانه أو عز وجل، أو تبارك، ونحو ذلك، ومِن الأدب مع الله سبحانه عدم الدخول بشيء فيه اسم الله تعالى إلى أماكن النجاسات، إلا عند الضرورة، وهناك من يضع المصحف على الأرض[2]– وهو كلام رب العالمين– وهذا أيضًا ليس من تعظيم الله تعالى.

– هناك أمر قد انتشر وعم وطم وهو من الخطورة بمكان، ويدل على عدم تعظيم الملك الديان سبحانه وتعالى، وقلَّ من يتنبه له، وهو أنه مع بداية العام الدراسي أو مع بداية الانتخابات، يعلن كل عن نفسه سواء كان ناخب او أستاذ، فيكتبون أسماءهم في أوراق وتوزع بكثرة، وقد يكون اسم هذا الناخب أو المدرس: عبد الرحمن أو عبد الله أو عبد الحميد أو عبد العزيز أو عبد الكريم...أو.. أو..، ثم تؤخذ هذه الورقة بعدما توزع بكميات هائلة

1– سَرِيَّةٍ: هي القطعة من الجيش، سميت سرية لأنها تسري في خفية.

2– ولا يجوز وضع المصحف على الأرض، وهناك دليل عام يدل على عدم جواز ذلك، ودليل خاص. أما الدليل العام؛ فهو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج:32) أما الدليل الخاص الذي يدل على عدم جواز وضع المصحف على الأرض، ما أخرجه أبو داود من حديث ابن عمر–رضي الله عنهما– قال: أتى نفر من يهود، فدعوا رسول اللهِ ﷺ إلى القف، فأتاهم في بيت المدارس، فقالوا: يا أبَا القاسم! إن رجلا منا زنى بامرأة، فاحكم بينهم، فوضعوا لرسول اللهِ ﷺ وسادة، فجلس عليها، ثم قال ائتوني بالتوراة، فأتي بها، فنزع الوسادة من تحته، فوضع التوراة عليها، ثم قال: آمنت بك وبمن أنزلك، ثم قال: ائتوني بأعلمكم. فأتي بفتى شاب– ثم ذكر قصة الرجم". والشاهد من الحديث: أن الرسول ﷺ لم يضع التوراة على الأرض – مع ما فيها من تحريف– لكن وضعها على وسادة كان يجلس عليها، لما فيها من الصحيح، فكيف بالقرآن وهو كلام رب العالمين والذي تعهد بحفظه؟

وتُلقى في صناديق القمامة، أو تُلقى في الشوارع والطرقات وتوطأ بالأقدام،... يا الله... اسم الله يوطأ بالأقدام، ويلقى في القاذورات.

فيا من ألقيت هذه الورقة التي تحمل أعظم اسم لأعظم موصوف، اعلم أن هذا الفعل عند الله تعالى عظيم، **قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (سورة النور:15)** وحسبنا الله ونعم الوكيل فيمن يتطاول على الملك الجليل، وسبحان الحليم الصبور على كل من لم يعظم رب العالمين.

دخل إبراهيم بن أدهم –رحمه الله– السوق في خراسان فوجد ورقة فيها اسم الله ملقاة على الأرض وهي تداس بالأقدام، فبكى قال: اسمك يا رب يداس؟! والله لأرفعن هذه الورقة، ثم أخذها وطيبها ووضعها عنده في البيت، فسمع قائلًا يقول وهو في المنام: يامن رفعت اسم الله وطيبته، ليطيبن الله اسمك ".

وأخرج أبو الشيخ من حديث أنس ﷺ مرفوعًا، وكذا رواه الدارقطني في الأفراد عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا وفيه:" من رفع كتابًا عن الطريق فيه: بسم الله، إجلالًا له، كُتب من الصديقين ".

لأن هذا فيه دلالة على تعظيم الله وإجلاله.

يقول ابن القيم–رحمه الله–: لهذا الاسم الشريف خصائصه المعنوية، فقد قال أعلم الخلق بربه ﷺ:" **لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**". **(رواه مسلم)** وكيف يُحصى خصائص اسم لمسماهُ كلُّ كمالٍ علي الإطلاق، وكل مدح وحمد، وكل ثناءٍ وكل مجد، وكل جلالٍ وكل كمال، وكل عز وكل جمال، وكل خير وإحسان وجود وفضل وبر فله ومنه، فما ذكر هذا الاسم في قليل إلا كثرهُ، ولا عند خوفٍ إلا أزاله، ولا عند كربٍ إلا كشفه، ولا عند همٍّ وغمٍّ إلا فرَّجه، ولا عند ضيق إلا وسعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العز، ولا فقير إلا صار غنيًا، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا أيَّده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضره، ولا شريد إلا آواه، فهو الاسم الذي تكشف به الكربات، وتستنزل به البركات، وتجاب به الدعوات، وتقال به العثرات، وتستدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات، وهو الاسم الذي قامت به الأرض والسماوات، وبه سَعِدَ من عرفه وقام بحقه، وبقي شقيًا من جهله وترك حقه، فهو سر الخلق والأمر، وبه قاما وثبتا، وإليه انتهيا، فالخلق به وإليه ولأجله، فما وجد خلق ولا أمر ولا ثواب ولا عقاب إلا مبتدئًا منه منتهيًا إليه ". اهـ

وأقول لكل من يلقي اسم الله تعالى على الأرض ويداس بالأقدام:

يا هذا! أتعرف اسم من ألقيت؟ أنه اسم الله... الاسم الذي من أجله خلق الله السماوات والأرض. الاسم الذي من أجله أرسل الله الرسل. الاسم الذي من أجله أنزل الله الكتب.

الله... اسم لصاحبه كل جلال، اسم لصاحبه كل كمال.

الله... اسم تستجلب به الرحمات، اسم تستنزل بها البركات، اسم تستجاب به الدعوات، اسم يُستدفع به الكربات، اسم تقال به العثرات، اسم به قامت الأرض والسماوات، ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾ (**المؤمنون: 116**) اسم هذا حال صاحبه يوطأ بالأقدام؟؟؟!

– إذا حل الهمُّ، وخيم الغمُّ، واشتد الكرب، وعُظم الخطب، وضاقت السبل، وبارت الحيل، نادى المنادي: يا الله... يا الله.

– إذا أجدبت الأرض، ومات الزرع، وجف الضرع، وذبلت الأزهار، واصفرت الأشجار، وغار الماء، وقل الغذاء، واشتد البلاء، خرج المستغيثون بالشيوخ الركع، والأطفال الرضع، والبهائم الرتع، فنادوا: يا الله... يا الله... فينزل المطر وينهمر الغيث، ويذهب الظمأ، وترتوي الأرض. **قال تعالى**: ﴿**وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾ (**الحج:5**)

– إذا اشتد المرض بالمريض، وضعف جسمه، وشحبُ لونه، وقلت حيلته، وضعفت وسيلته، وعجز الطبيب، وحار المداوي، اتجه المريض والعليل إلى العلي الجليل، ونادى: يا الله... يا الله... فزال الداء، ودب الشفاء، وسمع الدعاء، **قال تعالى**: ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ(83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ**﴾ (**الأنبياء:83،84**)

– إذا اعترض الجنين في بطن أمه، وعثُرت ولادته، وصعُبت وفادته، وأوشكت الأم على الهلاك، وأيقنت بالممات، لجأت إلى منفس الكربات، وقاضي الحاجات، ونادت: يا الله... يا الله... فزال أنينها، وخرج جنينها. إنه الله.

– اذا حلت بالعَالِم مُعضلةٌ، وأشُكلت عليه مسألة، فتاه عن الصواب، وعز عليه الجواب، مرغ أنفه بالتراب، ونادى: يا الله... يا الله... يا معلم إبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهمني،" **اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**". (**رواه مسلم**) فيأتي التوفيق،

وتُحل المغاليق، فينكشف السحاب، ويلهم الجواب. إنه الله.

- إذا انطلقت السفينة بعيدًا في البحر اللجي، وهبت الزوابع، واشتدت الرياح، وتلبد الفضاء بالسحب، واكفهر وجه السماء، وأبرق البرق، وأرعد الرعد، وكانت ظلمات بعضها فوق بعض، ولعبت الأمواج بالسفينة، وبلغت القلوب الحناجر، وأشرفت السفينة على الغرق، وتربص الموت بالركاب، اتجهت الأفئدة وجأرت الأصوات: يا الله... يا الله... فجاء عطفه وأشرق ضياءهُ في الظلام الحالك، فأزال المهالك.

- إذا حلقت الطائرةُ في الهواء، وكانت معلقة بين الأرض والسماء، فأشار مؤشر الخلل، وظهرت دلائل العطل، فزعر القائد، وارتبك الركاب، وضجت الأصوات، فبكى الرجال، وصاح النساء، وفجع الأطفال، وعم الرعب، وخيم الهلع، وعظم الفزع، ألحوا في النداء، وعظم الدعاء: يا الله... يا الله... فأتى لطفه، وتنزلت رحمته، وعظمت منته، فاستقرت الطائرة، فهدأت النفوس، وسكنت القلوب، وهبطت الطائرة بسلام. إنه الله.

إنه الله... الملاذ في الشدة، والأنيس في الوحشة، والنصير في القلة، يتجه إليه المريض ويدعوه أملًا في الشفاء. ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ **(سورة الشعراء:80)**

- يتجه إليه المصاب؛ يسأله الصبر والرضا والخُلف من كل فائت، والعوض من كل مفقود، ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾**(سورة البقرة: 156)**

- يتجه اليه المظلوم فيرد الله إليه مظلمته، وينصره على من ظلمه، فليس بين دعوة المظلوم وبين الله حجاب، **دعا نوحٌ فقال:** ﴿**أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ**﴾ **(سورة القمر:10) فكانت النتيجة:** ﴿**فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ(11) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**﴾ **(سورة القمر:12،11)**

- يتجه إليه المحروم من الأولاد والذرية فيعطيه ويرزقه، ناداه زكريا فقال: ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ(38) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ**﴾ **(سورة آل عمران: 38)**

إنه الله... سلوة الطائعين، وملاذ الهاربين، وملجأ الخائفين.

إنه الله... **قال عن نفسه:** ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ **(سورة الرحمن:29)**
فيغفر ذنبًا، ويفرج همًّا، ويكشف كربًا، ويجبر كسيرًا، ويغني فقيرًا، ويعلم جاهلًا، ويهدي ضالًا، ويرشد حيران، ويغيث لهفان، ويفك عانيًا، ويُشبع جائعًا، ويكسو عاريًا، ويشفي مريضًا، ويعافي مبتلى، ويقبل تائبًا، ويجزي

محسنًا، وينصر مظلومًا، ويقصم جبارًا، ويقيل عثرة، ويستر عورة، ويؤمن روعة.

إنه الله... خلق فسوى، وقدر فهدى، وأخرج المرعى، فجعله غثاء أحوى، السماء بناها، والجبال أرساها، والأرض دحاها؛ أخرج منها ماءها ومرعاها، يبسط الرزق، ويغدق العطاء، ويرسل النعم إنه الله...

الشمسُ والبدرُ مِن آثارِ قُدرتِه والبَرُّ والبحرُ فَيضٌ مِن عَطاياهُ
الطيرُ سَبّحَه والوَحشُ مَجّدَه والموجُ كبّره والحوتُ ناجاه
والنملُ بين الصُّخورِ الصُّمِّ قَدّسَه والنَّحلُ يهتِفُ حمدًا في خَلاياهُ
والناسُ يعصُونَه جهرًا فيستُرُهم والعبدُ ينسى، وربّي ليس ينساهُ

فسبحانه من خالق عظيم جواد كريم، الكرم صفة من صفاته، والجود من أعظم سماته، والعطاء من أجلّ هباته، فمن أعظم منه جودًا وكرمًا وعطاءً؟

الخلائق معاصيهم إليه صاعدة، وعطاياه إليهم نازلة، يجود بالفضل على العاصي، ويتفضل على المسيء، من ذا الذي دعاه فلم يستجب له؟ من الذي سأله فلم يعطيه؟ من الذي أناخ ببابه فطرده عن جنابه؟ فهو ذو الفضل ومنه الفضل، وهو الجواد ومنه الجود، وهو الكريم سبحانه ومنه الكرم.. إنه الله...

من أقبل إليه تلقاه من بعيد، ومن أعرض عنه ناداه من قريب، أهل المعاصي لا يقنطهم من رحمته، إن تابوا إليه فهو حبيبهم، وإن لم يتوبوا، فهو رحيم بهم، يبتليهم بالمصائب ليطهرهم من المعايب، من أراد رضاه أراد ما يريد، ومن تصرف بحوله وقوته ألان له الحديد، ومن ترك من أجله أعطاه فوق المزيد، الحسنة عنده بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة عنده بواحدة، فإن ندم عليها واستغفر غفر الله له، يشكر اليسير من العمل، ويغفر الكثير من الزلل، إنه الله...

ابتلى إبراهيم بكلمات، واستمع لنداء يونس في الظلمات، واستجاب لزكريا فوهبه على الكبر يحيى، هاديًا مهديا، وحنانًا من لدنه، وكان تقيًا، أزال الكرب عن أيوب، وألان الحديد لداود، وسخر الريح لسليمان، وفلق البحر لموسى، ورفع إليه عيسى، وشق القمر لمحمد.

نجى هودًا وأهلك قومه، ونجى صالحًا من الظالمين، فأصبح قومه في دارهم جاثمين، وجعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم، وفدى اسماعيل بفدي عظيم، وجعل عيسى وأمه آية للعالمين، ونجى لوطًا وأرسل على قومه حجارة من

سجيل منضود، ونجى شعيبًا برحمته، وأهلك أهل مدين بعدله، وقال: بعدًا لمدين كما بعدت ثمود، أغرق فرعون وقومه، ونجاه ببدنه ليكون لمن خلفه آية، وخسف بقارون وبداره الأرض، ونجى يوسف من غياهب الجب وجعله على خزائن الأرض.. إنه الله...

أضحك وأبكى... وأمات وأحيى... أسعد وأشقى... أوجد وأبلى... ورفع وخفض... أعزّ وأذل... وأعطى ومنع... هدى نوحًا وأضل ابنه... اختار إبراهيم وأبعد أباه... أنقذ لوطًا وأهلك امرأته... لعن فرعون وهدى زوجته... اصطفى محمدًا ومقت عمه... إنه الله...

فسبحان الله عدد خلقه... وسبحان الله رضى نفسه... سبحان الله زنة عرشه... سبحان الله مداد كلماته.

هو الأول ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء.

ما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله، وما من آخر إلا والله بعده، علا على كل شيء بظهوره، ودنا من كل شيء ببطونه، ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(3) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ (سورة الحديد: 3)

الله لكمال عظمته وقدرته خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش كما أخبر، وعلى الوجه الذي أراد، فلا العرش يحمله، ولا الكرسي يسنده، بل العرش وحملته والكرسي وعظمته، الكل محمول بلطف قدرته، مقهور بجلال قبضته.

هو الملك الحق... الملك كله له... والكون كله له... والعظمة كلها له... والكبرياء كله له.

﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (22)هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ(23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ (سورة الحشر: 22-24)

كل شيء هالك إلا وجه، وكل مُلك زائل إلا ملكه، وكل ظل قالص إلا ظله، وكل فضل منقطع إلا فضله، لن يطاع إلا بأذنه، ولن يُعصى إلا بعلمه وحكمته، يطاع فيشكر، ويُعصى فيتجاوز ويغفر، كل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل.

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ كَلاَّ وَلاَ سَعْيٌ لَدَيْـهِ ضَائِعُ
إِنْ عُذِّبُوا فَبِعَدْلِهِ أَوْ نُعِّمُوا فَبِفَضْلِهِ وَهْوُ الكَرِيْمُ الوَاسِعُ

فيا من تلقون اسم الله على الأرض! ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (سورة نوح:13)

وصدق الله حيث قال:﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (سورة الزمر:67)

قال ابن الجوزي–رحمه الله– في" زاد المسير" في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ فيها ثلاثة أقوال: أي ما عظموا الله حق عظمته، وقيل: ما وصفوه حق وصفه، وقيل: ما عرفوه حق معرفته".

وأخرج البخاري ومسلم وابن ماجه واللفظ له من حديث عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" يأخذُ الجبَّارُ سماواتِهِ، وأراضيهِ بيدِهِ[1]، وقبضَ يدَهُ فجعلَ يقبضُها، ويبسطُها، ثمَّ يقولُ: أنا الجبَّارُ، أنا الملِكُ، أينَ الجبَّارونَ؟ أينَ المتكبِّرونَ؟ قالَ: ويتمايلُ رسولُ اللَّهِ ﷺ، عن يمينِهِ، وعن شمالِهِ، حتَّى نظرتُ إلى المنبرِ يتحرَّكُ مِن أسفلِ شيءٍ منهُ، حتَّى إنِّي لأقولُ: أساقطٌ هوَ برسولِ اللَّهِ ﷺ ". (صحيح ابن ماجه: 3468)

– وفي رواية عند الإمام أحمد بلفظ: أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده، ويحركها يقبل بها ويدبر: يمجد الرب نفسه أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم، فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرن به ".

فالنبي ﷺ هو أعرف الناس بالله تعالى، وأشدهم له تمجيدًا وتعظيمًا، لما استحضر عظمة الله وهيبته كاد المنبر أن يخر بالرسول ﷺ.

وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: جاءَ حَبرٌ مِنَ الأحبارِ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا مُحَمَّدُ! إنَّا نَجِدُ أنَّ اللهَ يَجعَلُ السَّمواتِ على إصبَعٍ، والأرَضينَ على إصبَعٍ، والشَّجَرَ على إصبَعٍ، والماءَ والثَّرى على إصبَعٍ، وسائِرَ الخَلائِقِ على إصبَعٍ، فيَقولُ: أنا المَلِكُ، فضَحِكَ النَّبيُّ ﷺ حتَّى بَدَت نَواجِذُه تَصديقًا لقَولِ الحَبرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (سورة الزمر:67)

وأخرج أبو الشيخ في" العظمة" عن أبي ذر ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: أتدري ما الكرسي؟ فقلت: لا، قال: ما السماوات والأرض وما فيهن في الكرسي إلا كحلقة ألقاها ملق في أرض فلاة، وما الكرسي في

1– وما ورَدَ في هذا الحديثِ مِن صِفاتٍ للمَولى عَزَّ وجَلَّ: اليدُ، والقبْضُ، والبسطُ، فإنَّ مذهبَ أهلِ السُّنَّةِ: أنْ تُثبَتَ للهِ عَزَّ وجَلَّ على الوجْهِ الَّذي أثبَتَها هو لنفْسِه سُبحانَه، دونَ تَكييفٍ أو تَعطيلٍ، أو تحريفٍ أو تأويلٍ، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: 11)

العرش إلا كحلقة ألقاها ملق في أرض فلاة، وما العرش في الماء إلا كحلقة ألقاها ملق في أرض فلاة، وما الماء في الريح إلا كحلقة ألقاها ملق في أرض فلاة، وما جميع ذلك في قبضة الله عز وجل إلا كالحبة وأصغر من الحبة في كف أحدكم، وذلك قوله: وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ".

هذا هو ربنا، إله هذا حاله يلقى اسمه على الأرض، ويوطأ بالأقدام؟

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾

الأدب الخامس: تقديم محبة الله تعالى فوق أي محاب:

يقول ابن القيم–رحمه الله–:" ومَحَبَّةُ الله عز وجل هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروح العابدون، وهي قُوتُ القلوبِ، وغِذاءُ الأرواحِ، وقُرَّةُ العيونِ، وهي الحياةُ التي من حُرِمها فهو من جملةِ الأمواتِ، والنُّورُ الذي من فقده فهو في بحارِ الظُّلماتِ، والشِّفاءُ الذي من عُدِمَه حَلَّت بقلبه جميعُ الأسقامِ، واللَّذَّةُ التي من لم يظفَرْ بها فعَيشُه كُلُّه همومٌ وآلامٌ، وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال، التي متى خَلَت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه ". **(مدارج السالكين: 8/3)**

وقال–رحمه الله– في موضع آخر:" ومحبة الله عز وجل هي حياة القلوب، وغذاء الأرواح، وليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة إلا بها، وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، بل فساد القلب– إذا خلا من محبة فاطره وبارئه وإلهه الحق– أعظم من فساد البدن إذا خلا من الروح، وهذا الأمر لا يصدق به إلا من فيه حياة، وما لجرح بميت إيلام ". **(انظر الجواب الكافي ص: ٥٤١)**

وقال يحيى بنُ أبي كَثيرٍ–رحمه الله–:" نظَرْنا فلم نجِدْ شيئًا يتلَذَّذُ به المتلَذِّذون أفضَلَ من حُبِّ اللهِ تعالى وطَلَبِ مَرَضاتِه ". **(المحبة لله سبحانه لإبراهيم بن الجنيد ص: 35).**

وقد توعد الله تعالى كل من قدم أي محبة فوق محبته سبحانه:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ **(سورة التوبة:24)**

أي قل يا أيها الرسول للمؤمنين: إن فَضَّلتم الآباء والأبناء والإخوان والزوجات والقرابات والأموال التي جمعتموها والتجارة التي تخافون عدم رواجها والبيوت الفارهة التي أقمتم فيها، إن فَضَّلتم ذلك على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله فانتظروا عقاب الله ونكاله بكم. والله لا يوفق الخارجين عن طاعته". **(التفسير الميسر)**

وتأمل هذه الأشياء الثمانية التي ذُكرت في الآية فالأصل أنها مباحة، بل الإنسان مجبول على محبتها، بل ولا بد له من تحصيلها؛ ليتمكن من مزاولة حياته الطبيعية على هذه الأرض، وعمارتها كما أمر الله، **ولكن السؤال هو:** من هو المحبوب الأول في قائمة أولوياتك؟ هل هو الله؟ فتصح بذلك محبتك لله، أم هو أحد هذه الثمانية، فتصير بذلك من الذين اتخذوا مع الله أندادًا، وتصبح كاذبًا في دعوى محبتك لربك.

وهذا ما يصفه لك الإمام ابن القيم رحمه الله فيقول:" فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله، أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله، أو مرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله، أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه، أو معاملة أحدهم على معاملة الله؛ فهو ممن ليس الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وإن قاله بلسانه؛ فهو كذب منه، وإخبار بخلاف ما هو عليه ". اهـ **(مدارج السالكين لابن القيم ص:٦١)**.

ومعنى ذلك: إذا دعاك صديقك إلى معصية الله فأجبته؛ فأنت كاذب في دعوى المحبة. وإذا تعارض عملك مع طاعة الله، فقدمت عملك وعصيت ربك؛ فأنت كاذب في دعوى المحبة. وإذا قصرت في طاعة الله أو خدمة دينه أو نصرته خوفًا من الناس؛ فأنت كاذب في دعوى المحبة. وإذا أمرك أحد الوالدين أو كلاهما بمعصية الله وأطعته؛ فأنت كاذب في دعوى المحبة. **ومعنى ذلك أيضا:** إذا طردت صديق السوء من حياتك لأنه يعيقك عن ربك؛ فأنت محب صادق لله. وإذا رهبك الناس من طريق الطاعة والالتحاق بركب الصالحين؛ فضربت بكلامهم عرض الحائط، وعجلت إلى ربك ليرضى عنك؛ فأنت محب صادق لله.

إذا تركت عملًا حرامًا يُدر عليك الألوف أو الملايين، لقاء ما عند الله؛ فأنت محب صادق لله.

وقفة: **لا يكتمل إيمان عبد حتى يقدم محبة الله على محبته لنفسه، وقد قال الله تعالى في حق النبي** ﷺ: ﴿النَّبِيُّ

أولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (سورة الأحزاب:6)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلَاوَةَ الإيمَانِ: أنْ يَكونَ اللَّهُ ورَسولُهُ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ في الكُفْرِ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النَّارِ ".

وقوله ﷺ:" أنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أحَبَّ إليه ممَّا سِواهما"، ومَحبَّةُ اللهِ تَنشَأُ مِن مَعرفةِ أسمائِه وصِفاتِه، والتَّفكيرِ في مَصنوعاتِه، وما فيها مِن الحِكَمِ والعَجائبِ، وتَحصُلُ مِن مُطالَعةِ نِعَمِه على العِبادِ؛ فإنَّ ذلك كلَّه يدُلُّ على كَمالِه وقُدرتِه، وحِكمتِه وعِلمِه ورَحمتِه، ومَحبَّةُ العبدِ لِخالقِه سُبحانه وتعالَى تَقودُ العبْدَ إلى الْتزامِ شَريعتِه وطاعتِه، والانتهاءِ عمَّا نَهى عنه. ومَحبَّةُ الرَّسولِ ﷺ تابعةٌ لِمحبَّةِ اللهِ، ويَلزَمُ مِن تلك المحبَّةِ اتِّباعُ النبيِّ ﷺ في أوامِرِه ونواهيه، كطاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ويَجِبُ أنْ تكونَ مَحبَّةُ الرسولِ ﷺ في قلْبِ كلِّ مسلِمٍ أعظَمَ مِن مَحبَّتِه لنفْسِه، ومَحبَّتِه لأبيهِ وأُمِّه، وابنِه وبِنتِه، وزَوجتِه، وصَديقِه وأقارِبِه، والناسِ أجمعينَ.

وقد أقسم الرسول ﷺ فقال:" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ من والده وولده ". (رواه البخاري)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن هشام قال:"كُنَّا مع النَّبيِّ ﷺ وهو آخِذٌ بيَدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَقالَ له عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن كُلِّ شَيْءٍ إلَّا مِن نَفْسِي، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: لَا، والَّذي نَفْسِي بيَدِهِ، حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْكَ مِن نَفْسِكَ، فَقالَ له عُمَرُ: فإنَّه الآنَ، واللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن نَفْسِي، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: الآنَ يا عُمَرُ ".

وهنا سؤال يطرح نفسه: وإذا كانت محبة الرسول ﷺ وهو عبد لله يجب أن تقدم على محبة النفس، والأهل، والوالد، والولد، والناس أجمعين؛ فما الظن إذًا بمحبة الخالق البارئ، المصور، الرزاق، العظيم؟!. فالله عز وجل أحق أن تقدم محبته فوق أي محاب.

الأدب السادس: الاستحياء من الله تعالى في السر والعلانية:

مَن استحى من الناس أن يروه بقبيح، دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربه أشدّ، فلا يُضَيّع فريضة ولا يرتكب خطيئة؛ لعلمه بأن الله يرى؛ وأنه لابد أن يقرره يوم القيامة على ما عمله، فيخجل ويستحي من ربه. وكلما ازددت معرفة بالله ازددت حياءً منه، فتترك كل قبيح، وتقبل على كل مليح، لعلمك بأن الله يراك ويسمعك.

وقد أخرج الإمام أحمد في الزهد والبيهقي في شعب الإيمان والطبراني في المعجم الكبير عَنْ سَعِيدِ بن يَزِيدَ الأَزْدِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ:" أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا تَسْتَحِي مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ من قومك ". (السلسلة الصحيحة:741)

– وفي رواية:" أُوصيكَ أنْ تَسْتَحِيَ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ كما تَسْتَحِي رجلًا من صالِحِي قَوْمِكَ ".

قال المناوي–رحمه الله– في فيض القدير:74/3": وقول النبي ﷺ:" أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي من الرجل الصالح من قومك". قال ابن جرير: هذا أبلغ موعظة وأبْين دلالة بأوجز إيجاز، وأوضح بيان، إذ لا أحد من الفسقة إلا وهو يستحي من عمل القبيح عن أعين أهل الصلاح، وذوي الهيئات والفضل؛ أن يراه وهو فاعله، والله مطلع على جميع أفعال خلقه، فالعبد إذا استحى من ربه استحياءه من رجل صالح من قومه: تجنَّب جميع المعاصي الظاهرة، والباطنة، فيا لها مِن وصية، ما أبلغها، وموعظة ما أجمعها". اهـ

ولذلك قال بعض السلف:" خف الله على قدر قدرته عليك، واستحي منه على قدر قربه منك ".

وقال الراغب الأصفهاني–رحمه الله–:" حق الإنسان إذا همَّ بقبيح أن يتصور أجل من في نفسه حتى كأنه يراه، فالإنسان يستحي ممن يكبر في نفسه، ولذلك لا يستحي من الحيوان، ولا من الأطفال، ولا من الذين لا يميزون، ويستحي من العالم أكثر مما يستحي من الجاهل، ومن الجماعة أكثر ما يستحي من الواحد. والذين يستحي منهم الإنسان ثلاثة: البشر، وهم أكثر من يستحي منه، ثم نفسه، ثم الله تعالى، ومن استحى من الناس ولم يستحي من نفسه: فنفْسه عنده أخس من غيره، ومن استحى منها ولم يستح من الله: فلعدم معرفته بالله، فالإنسان يستحيي ممن يعظمه، ويعلم أنه يراه أو يسمع نجواه ، فيبكته؛ ومن لا يعرف الله فكيف يعظمه، وكيف يعلم أنه مطلع عليه؟". اهـ **(الذريعة إلى مكارم الشريعة ص:289)**

فقد يترك الإنسان المعصية لعلمه بنظر الناس إليه، والإنسان يستحيي ممّن يكبر في نفسه، فهو يستحي من العالم أكثر مما يستحي من الجاهل، فيترك المعصية حياءً منه، فكيف وأن الناظر إليه هو الله؟

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (سورة العلق:14)

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (سورة البقرة:265)

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (سورة ق:16)

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (سورة الزخرف:80)

وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (سورة الملك:13)

وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (سورة غافر:19)

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ (سورة الأحزاب:52)

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (سورة البروج:9)

فكل شيء في حق الله مشهود لا يغيب عنه، حتى أنه يعلم ما تخفي الصدور، فلو علم كل إنسان أن الله معه حيث كان يراه ويسمعه فسيكون أكثر حياءً منه وأشد مراقبة.

وأخرج أبو داود من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ثلاثٌ من فعلَهنَّ فقد طعمَ طعمَ الإيمانِ: من عبدَ اللَّهَ وحدَهُ وأنَّهُ لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّهُ، وأعطى زَكاةَ مالِهِ طيِّبةً بِها نفسُهُ رافدةً[1] عليْهِ كلَّ عامٍ ولاَ يعطي الْهرمةَ[2] ولاَ الدَّرنةَ[3] ولاَ المريضةَ ولاَ الشَّرطَ[4] اللَّئيمةَ[5] ولَكن من وسطِ أموالِكم فإنَّ اللَّهَ لم يسألْكم خيرَهُ ولم يأمرْكم بشرِّهِ ". (صحيح أبي داود: 1580)

– زاد البيهقي: وزكِّى نفسه، فقال الرجل: وما تزكية النفس؟ فقال: أن يعلم أن الله ﷻ معه حيث كان".

قال الإمام محمد بن يحيى الزملي–رحمه الله–:" يريد أن الله علمه محيط بكل مكان، وأن الله تعالى على العرش".

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ حينما سأله جبريل–عليه السلام–:" ما الإحْسَانُ؟ قالَ: أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ ". (رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرةﷺ)

فعلى الإنسان أن يستحضر في كل لحظة أن الله ﷻ معه يراه ويسمعه.

قال عبد الله بن عمر–رضي لله عنهما–:" لا يجد عبد صريح الإيمان حتى يعلم بأن الله تعالى يراه، فلا يعمل سرًا يفتضح به يوم القيامة وهذا هو حقيقة الحياء ".

وحقيقة الحياء من الله يبينها ابن القيم–رحمه الله– فيقول:" والحياء من الله أن تنفتح في قلبك عين تريك أنك قائم بين يدي الله[6]".

ويقول أيضًا كما في" مدارج السالكين": والحياء يَتولَّد من علم العبد بنظر الحق إليه، فيدفعه ذلك إلى مجاهدة النفس، وتحمل أعباء الطاعة واستقباح الجناية، وأن العبد إذا علم أن الله ناظر إليه أورثه هذا حياء منه تعالى ". اهـ

1– رافدة: فاعلة من الرفد: وهو الإعانة أي تعينه نفسه على أداء الزكاة.

2– الهَرِمَةَ"، أي: الطَّاعِنةَ في السِّنّ.

3 – الدَّرِنةَ: أي: الجَرْباءَ

4– الشَّرَطَ: أي: أراذِلَ الأموالِ وأرْذَأَها، قال الخطابي: رذالة المال.

5– اللَّئيمةَ: البخيلة باللبن.

6 – للمؤلف(ندا) رسالة بعنوان لا حياة بلا حياء، فارجع إليها فضلًا لا أمرًا.

ولك أن تتخيل... لو أن هناك ملكًا سفَّاكًا للدماء شديد البطش والنكال، وأن السيَّاف قائم عند رأسه، والنطع مبسوط للقتل، وحول هذا الملك أزواجه وبناته، وأنت واقف بين يديه وهو مطلع عليك ناظر إليك، تراك تنظر إلى محارمه وهو شديد الغيرة؟ لا. بل ستغض الطرف وتنظر إلى الأرض لأنك تعلم أنك لو نظرت إلى محارمه ستقطع رقبتك، وهذا الملك بشر، قد يغفل لحظة أو ينام أو يغيب، ساعتها قد تنظر، فكيف تتجرأ على محارم الله، والناظر إليك هو الله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

– ولو دخل لصٌ محلًا كبيرًا ليسرقه، ثم وجد هناك كاميرات تليفزيونية تراقبه، ورجال أمن ينظرون إليه ما تجرّأ أن يسرق شيئًا، فكيف وأن الناظر هو الله؟! الحاضر الذي لا يغيب، الحي الذي لا يموت، الشهيد الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، السميع الذي يسمع جميع الأصوات على تفنن الحاجات باختلاف اللغات، البصير الذي يبصر النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

قال الإمام عبد الله بن المبارك –رحمه الله– لرجل: راقب الله تعالى، فقال الرجل ما أفهم تفسير هذا، قال: كن أبدًا كأنك ترى الله ﷻ.

وقال رجل للجنيد–رحمه الله–: كيف أستعين على غض البصر؟ قال: بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه.

وإذا تيقن العبد أن الله ناظر إليه وسيسأله يوم القيامة عن كل ما اقترفت يداه، فإنه سيخجل فيقبل على الفضيلة ويترك الرذيلة. ويتولد الحياء عند العبد من الله، من تقلب العبد في نعمة الله فيستحي العاقل أن يستعين بها على معصية الله.

أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" استَحيوا منَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ، قُلنا: يا رسولَ اللَّهِ إنَّا لنَستحيي والحمد لله، قالَ: ليسَ ذاكَ[1]، ولَكِنَّ الاستحياءَ منَ اللَّهِ حقَّ

1– ليس ذاك: قال البيضاوي: ليس حق الحياء من الله ما تحسبونه، بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه عما لا يرضاه من فعل وقول.

الحياءِ أن تحفَظ الرَّأسَ وما وَعى[1]، وتحفَظَ البَطنَ وما حوَى[2]، ولتَذكرِ الموتَ والبِلى[3]، ومَن أرادَ الآخرةَ ترَكَ زينةَ الدُّنيا[4]، فمَن فَعلَ ذلِكَ فقدَ استحيا منَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ ". (صحيح الترمذي: 2458)

قال الشنقيطي في" تفسيره أضواء البيان":" إذا لاحظ الإنسان الضعيف أن ربه ﷻ ليس بغائب عنه، وأنه مُطَّلِع على كل ما يقول وما يفعل وما ينوي، لان قلبه وخشي الله تعالى وأحسن عمله لله ".

ومن الأمثلة القرآنية البديعة في هذا الشأن: قصة يوسف–عليه السلام–:

حينما تعرض لفتنة من أشد الفتن على القلوب والعقول، وهى فتنة النساء، والتي هي من أعظم الفتن في كل زمان ومكان على الرجال عامة وعلى الشباب خاصة، ولكن انظر كيف أنه صبر واستحيا من ربه وخالقه، رغم مراودة امرأة العزيز، وهى امرأة توافرت فيها دواعي الفتنة من: مال وجمال وجاه، فقال: حياءً من ربه ومراقبةً له: ﴿**مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ **(سورة يوسف: 23)**

قال الطبري–رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ**﴾ **(يوسف:24)** في الآية تقديم وتأخير، أي: لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، فلم يقع الهمّ لوجود البرهان، وهو حياء يوسف من ربه وعصمة الله تعالى له ".

فالحياء من الله يكون بامتثال أوامره واجتناب زواجره وهذا لا يكون إلا من قوة الدين وصحة اليقين.

لما غاب هذا الأدب عند كثير من الناس تجرؤوا على محارم الله

أخرج ابن ماجه من حديث ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لأعلمنَّ أقوامًا من أمتي يأتون يومَ القيامةِ بحسناتٍ أمثالِ جبالِ تهامةَ بيضًا فيجعلُها اللهُ عزَّ وجلَّ هباءً منثورًا قال ثوبانُ يا رسولَ اللهِ صِفْهم لنا جَلِّهم لنا أن لا نكونَ منهم ونحنُ لا نعلمُ قال أما إنهم إخوانُكم ومن جِلدتِكم ويأخذون من الليلِ كما تأخذون ولكنَّهم أقوامٌ إذا خَلَوا بمحارمِ اللهِ انتهكُوها ". (صحيح ابن ماجه: 3442)

قال أحدهم:

وكـم ذي معاصٍ نال منهن لـذةً ومـات فخـلاها وذاق الدَّوَاهِيـا

1– يحفظ الرأس وما وعى: ما جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة، حتى لا يستعملها إلا فيما يحل.

2– ويحفظ البطن وما حوى: أي وما جمعه جوفه باتصاله به، من القلب والفرج واليدين والرجلين فلا يستعمل منها شيئًا في معصية الله عز وجل.

3 – وليذكر الموت والبلى: فمن ذكر الموت هان عليه ما فاته من اللذات العاجلة، وأهمه ما يلزمه من طلب الآجلة وعمل على إجلال الله وتعظيمه

4– ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا: لأنهما ضرتان، إذا أرضيت إحداهما أغضبت الأخرى، فمن أراد الله تعالى فليرفض جميع ما سواه استحياءً منه، بحيث لا يرى إلا إياه.

تتصرم لذاتُ المعاصي وتنقضي وتبقى تبعاتُ المعاصي كما هيا
فيـــا سوأتـــا والله راءٍ وسامـــعٌ لعبـد بعين الله يغشى المعاصيا

فإلى مَن يعصي الله ﷻ:
إذا كنت تعتقد أن الله لا يراك...... فهذا كفر.
وإذا كنت تعتقد أن الله يراك...... فهذا قلة حياء منك أن تعصيه وهو ينظر إليك.

– **قال حميد الطويل لسليمان بن عليّ–رحمه الله–**: عظني، فقال له: إذا كنت عصيت الله خاليًا وعلمت أنه يراك، فلقد اجترأت على أمر عظيم، وإن ظننت أنه لا يراك فقد كفرت ".

– **وقال فرقد–رحمه الله–**:" إن المنافق ينظر، فإن لم يره أحد دخل مدخل السوء، فإنما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى ".
– **قال ابن عباس–رضي الله عنهما– كما في "حلية الأولياء"**:" يا صاحب الذنب لا تأمننّ من سوء عاقبته، وإن ما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذ عملته، قلة حياؤك ممَّن على اليمين والشمال – وأنت على الذنب – أعظم من الذنب إذ عملته، وضحكك وأنت لا تدري ما الله صانع بك– أعظم من الذنب إذ عملته، وفرحك بالذنب – إذا ظفرت به – أعظم من الذنب إذ عملته، وحزنك على الذنب إذا فاتك – أعظم من الذنب إذ عملته، وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك – وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك – أعظم من الذنب إذ عملته ".
وإذا ما خـلوت الدهـــر يومًــا فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
لا تحسبن الله يغفـل ساعـــة ولا مــــا تخفيــــه عنـــه يــــغيب
– **قالت امرأة لرجل وهو يراودها عن نفسها**: ألا تستحي، قال: ما يرانا إلا الكواكب، فقالت له: فأين مُكوكبها؟

وإذا خلـوت بريبـة في ظلمـــة والنفس داعيــة إلى الطغيـان
فاستحي من نظر الإله وقل لها إن الــذي خـلق الظلام يـراني

فهيا أخي الحبيب أقبل على الله وكن ممن **قال الله فيهم**: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ **(سورة الرحمن:46)**
قال مجاهد–رحمه الله–:" هو الرجل يخلو بمعصية الله، فيذكر مقام الله فيدعها فرقًا– إي خوفًا– من الله ".

الأدب السابع: موافقة الله تعالى في كل ما يحبه ويرضاه:

فمن الأدب مع الله تعالى: أن ترى العبد يوافق الله تعالى في كل أموره؛ فيعطي لله، ويمنع لله، ويبغض لله، ويحب لله، ويغضب لغضب الله، ويرضى لرضاه، ويقدم ما يحبه الله على حظِّ نفسه وهواه[1].

ومن يقدم ويؤثر هواه على رضا مولاه، يضله الله ويختم على سمعه وبصره. كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة الجاثية: 23)

قال السعدي–رحمه الله– في تفسيره:" يقول تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ**﴾ الرجل الضال الذي ﴿**اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾ فما هويه سلكه سواء كان يرضي الله أو يسخطه. ﴿**وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ**﴾ من الله تعالى أنه لا تليق به الهداية ولا يزكو عليها. ﴿**وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ**﴾ فلا يسمع ما ينفعه، ﴿**وَقَلْبِهِ**﴾ فلا يعي الخير ﴿**وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً**﴾ تمنعه من نظر الحق، ﴿**فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ**﴾ أي: لا أحد يهديه وقد سد الله عليه أبواب الهداية وفتح له أبواب الغواية، وما ظلمه الله ولكن هو الذي ظلم نفسه وتسبب لمنع رحمة الله عليه ﴿**أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ ما ينفعكم فتسلكونه وما يضركم فتجتنبونه ".

وقال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (سورة ص: 26)

والعبد إما أن يكون متبعًا للهدى أو متبعًا للهوى. قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة القصص: 50)

فعند غلبات الهوى يظهر من بكى ممن تباكى، ويتمايز من يحب ربه ويتأدب معه حقًّا وصدقًا، ممن يدَّعي ذلك قولًا ولفظًا وهو بعيد بعد المشرقين عن حقيقة المحبة والأدب مع الله؛ فالمحب الصادق لله إذا تعارض هواه مع مراد ربه، فإنه لا يتردد لحظة واحدة في أن يُمضي ما يُرضي الله تعالى على هوى نفسه وشهواتها، وانظر كيف قارن الله تعالى بين هذين الصنفين؛ **فقال عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (سورة النازعات: ٣٧–٤١).**

فمن نهى نفسه عن غيها وهواها، ومنعها مرادها إيثارًا لمحاب الله على محاب نفسه؛ فهذا هو الموعود بسكنى الجنان في الدارين، فأما جنة الدنيا؛ فهي محبة الله ورضوانه، وأما جنة الآخرة؛ ففي دار النعيم الخالد والسعادة الأبدية،

1– قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–:" يحتاج المسلم إلى أن يخاف الله وينهى النفس عن الهوى، ونفس الهوى والشهوة لا يُعاقب عليه، بل على اتباعه والعمل به، فإذا كانت النفس تهوى وهو ينهاها، كان نهيه عبادة لله، وعملًا صالحًا ". (مجموع الفتاوى:635/10).

بجوار أرحم الراحمين، مع النبي ﷺ وحزبه. وسر ذلك أن الجزاء من جنس العمل؛ فكما ترك المحب ما تحبه نفسه وتهواه من أنواع الشهوات، إيثارًا لمحاب ربه على محاب نفسه؛ فكان أن عوضه الله تعالى بمحبة أعظم محبوب وهي محبة الله تعالى.

قال أبو يعقوب النهرجوري–رحمه الله–: كل من ادعى محبة الله جل جلاله ولم يوافق الله في أمره؛ فدعواه باطلة، وكل مُحب ليس يخاف الله فهو مغرور.

وسئل ذو النون المصري–رحمه الله–:" متى أحب ربي؟ قال:" إذا كان ما يبغضه عندك أَمَرَّ من الصبر".
(جامع العلوم والحكم لابن رجب ص:150)
وقال بشر بن السَّري–رحمه الله–:" ليس من علامة الحب؛ أن تحب ما يبغض حبيبك ". **(المصدر السابق)**

وقال يحي بن معاذ–رحمه الله–:" ليس بصادق من ادعى محبة الله، ولم يحفظ حدوده ".

وقال رُويم–رحمه الله–: المحبة الموافقة في جميع الأحوال، **وأنشد**:

ولو قال لي مُتْ مُتُّ سَمعًا وطاعةً وقلتُ لِداعي الحقِ أَهْلًا وَمَرحَبَا

والعبد لا يجد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله، وحتى يكره أن يرجع إلى الكفر، كما يكره أن يُلقى في النار؛ ولهذا كان الحب في الله والبغض في الله من أصول الإيمان. **(مجموع رسائل ابن رجب:171/1)**

الأدب الثامن: الرضا بقضاء الله تعالى وقدره:

من المعلوم أن كل شيء هو بقدر الله ﷻ. هكذا قال رب العالمين في كتابه الكريم: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ **(سورة القمر:49)**
وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ **(الفرقان:2)**
وكلمة" **شيء**" هنا تفيد العموم، أي: أن كل شيء بقدر الله ﷻ، فهي مقدرة قبل أن يخلق الله السموات والأرض بخمسين ألف سنة.
وأخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما– قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:" كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ".

أخرج أبو داود عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب قال: رب وماذا أكتب، قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ".

– وفي لفظ عند الترمذي:" اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد ".

أخرج البخاري معلقًا ووصله النسائي عن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ:" يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق".

قال الحافظ ابن حجر–رحمه الله–: وقوله ﷺ:" جف القلم بما أنت لاق": أي نفذ المقدور بما كتب في اللوح المحفوظ، فبقي القلم الذي كتب به جافًا لا مداد فيه، لفراغ ما كتب به ". (فتح الباري:119/9)

أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" جف القلم بما هو كائن ". – وفي لفظ عند الترمذي:" جف القلم على علم الله ".

ولهذا لما جيء بسعيد بن جبير–رحمه الله– إلى الحجاج (ليقتله) بكى رجل، فقال سعيد: ما يبكيك؟ قال: لما أصابك، قال، فلا تبك، كان في علم الله أن يكون هذا، ثم تلا: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (سورة الحديد: 22) (طبقات ابن سعد:261/6) (سير أعلام النبلاء:337/4)

وقال جل وعلا: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التغابن: 11)

قال علقمة–رحمه الله– في تفسير هذه الآية:" هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم ". (تفسير ابن جرير: 123/28، تفسير ابن كثير: 8/ 163)

والإيمان بقضاء الله وقدره من جملة الأركان الستة للإيمان، ففي حديث جبريل المشهور، حين سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الإيمان، قال:" أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره ". (رواه مسلم)

- ومنهج الطائفة المنصورة هو الإيمان بالقدر.

قال طاووس–رحمه الله–:" أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون:" كل شيء بقدر". وقال: وسمعت عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما– يقول: قال رسول الله ﷺ:" كل شيء بقدر حتى العجز والكيس". (رواه

مسلم)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود عن ابن الديلمي–رحمه الله– قال: أتيت أُبَيَّ بنَ كعبٍ، فقلتُ له: وقَعَ في نفسي شيءٌ من القَدَرِ، فحدثْني بشيءٍ، لعلَّ اللهَ أن يُذْهِبَه مِن قلبي. فقال: لو أن اللهَ عذَّب أهلَ سماواتِه، وأهلَ أرضِه، عذَّبَهم وهو غيرُ ظالمٍ لهم، ولو رَحِمَهم كانت رحمتُه خيرًا لهم من أعمالِهم، ولو أنفقتَ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا في سبيلِ اللهِ، ما قَبِلَه اللهُ منك حتى تُؤْمِنَ بالقَدَرَ، وتَعْلَمَ: أن ما أصابَك لم يَكُنْ لِيُخْطِئَك، وأن ما أخطأَكَ لم يَكُنْ لِيُصِيبَك، ولو مِتَّ على غيرِ هذا لدخلتَ النارَ. قال: ثم أتيتُ عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ، فقال مثل ذلك. قال: ثم أتيتُ حذيفةَ بنَ اليَمَانِ، فقال مثل ذلك. قال: ثم أتيتُ زيدَ بنَ ثابتٍ، فحدَّثَني عن النبيِّ ﷺ مثل ذلك. (صحيح أبي داود: 4699) (صحيح الجامع:5244)

فالله ﷻ خلق الخير وقدره وأراده كونًا وشرعًا، وخلق الشر وقدره وأراده كونًا وقدرًا، لا دينًا وشرعًا، لحكمة يعلمها هو سبحانه؛ فالرسول ﷺ قال:" **والشر ليس إليك**". **(رواه مسلم)**

وكم من الحكم الظاهرة والخفية من تقدير الله ﷻ للشر الذي هو في معرفتنا القاصرة شر، لكنه بحكمة وليس شرًا محضًا. فكل شر يُصيب الإنسان المسلم هو خير له إن كان راضيًا به ومؤمنًا أنه من عند الله مُقدرًا لحكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه.

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك ﷺ قال:" ألا أحدثكم بحديث لا يحدثكم به أحد غيري؟ قالوا: بلى. قال: كنا عند رسول الله ﷺ جلوسًا فضحك ثم قال أتدرون لم ضحكت؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: عجبت للمؤمن، إن الله ﷻلا يقضي قضاء إلا كان خيرًا له ". (صحيح الجامع:3985)

فعلى المؤمن أن يُسلم بقضاء الله وقدره، لأن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر أن تستريح النفس ويطمئن البال ويسعد الفؤاد ويأنس الإنسان بربه ولا يخشى أحدًا إلا الله لا الجن ولا الإنس ويطعم حقيقة الإيمان.

قال الوليد بن عبادة بن الصامت: دخلت على عبادة ﷺ وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه أوصي واجتهد لي، فقال: أجلسوني، قال: يا بنيّ، إنك لن تطعم طعم الإيمان ولم تبلغ حقيقة العلم بالله تعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قال: قلت يا أبتاه! فكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليُخطئك، يا بني! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن أول ما خلق الله– تبارك وتعالى– القلم، ثم قال: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة " يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار ". (رواه أحمد وأبو داود)

ولا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، كما قال ﷺ:" لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ". (رواه الإمام أحمد من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه)

وأخبر ﷺ أن قبول العمل الصالح موقوف على الإيمان بالقدر، وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وأخرج أبو داود وابن ماجه وأحمد عن زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:" لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أُحد ذهبًا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار". (صحيح الجامع:5244)

فيا أيها الحبيب... اعلم أن كل ما يقع في هذه الحياة الدنيا فهو بإذن الله، ووفق قدر معلوم وقضاء مرسوم وحكمة أزلية، وكن علي يقين أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، فوطِّن نفسك على هذا.

ما قد قُضي يا نفس فاصطبري له ولك الأمـان من الـذي لم يقدر

ثـم اعلمي أن المقـدر كائـن حتمًا عليك صبرت أم لم تصبري

وكان السلف يعلمون هذا جيدًا، فها هي أحدى الصالحات تقول عندما أُصيبت بأحد أبنائها:" الحمد لله على السراء والضراء، والعافية والبلاء، والله ما أحب تأخير ما عجل الله، ولا تعجيل ما أَخَّرَ الله، وكل ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير".

فما أبرم الله لم ينتقض وما نقض الله لـم يبرم

اعلم أن الذي قدر عليك الأقدار حكيم خبير لا يفعل شيئًا عبثًا ولا يقدر شيئًا سدى، بل هو رحيم تنوعت رحمته سبحانه وبحمده، يرحم العبد فيعطيه، ثم يرحمه فيوفقه للشكر، ثم يرحمه فيبتليه، ثم يرحمه فيوفقه للصبر، ثم يرحمه فيكفر بالبلاء ذنوبه وآثامه، ثم ينمي حسناته ويرفع درجاته، ثم يرحمه فيخفف من مصيبته وطأتها، ويهون مشقتها ثم يتمم أجرها، فرحمته متقدمة على التدابير السارة والضارة ومتأخرة عنها، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فعلى المرء أن يرضى بكل ما قضاه الله عز وجل

فقد أخرج ابن ماجه والترمذي عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:" إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى

إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط ".

فمن أنفع الأدوية للمرء أن يوافق ربه وإلهه فيما قضاه ويرضى به.

يقول أبو الدرداء ﷺ:" إن الله إذا قضى قضاء أحب أن يرضى العبد به ".

قال علي بن أبي طالب ﷺ:" من رضي بقضاء الله جرى عليه وكان له أجر ومن لم يرض بقضاء الله جرى عليه وحبط عمله. فقضاء الله نافذ كالسيف، وأمره واقع، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولكن العبد هو الذي يربح أو يخسر بحسب رضاه أو سخطه ".

يقول المنبجي –رحمه الله– كما في تسلية أهل المصائب ص:45:" وليحذر العبد كل الحذر أن يتكلم في حال مُصيبته وبكائه بشيء يُحبط به أجره، ويسخط به ربه، مما يشبه التظلم، فإن الله تعالى عدل لا يجور، وعالم لا يضل ولا يجهل، وحكيم أفعاله كلها حكم ومصالح، ما يفعل شيئًا إلا لحكمة، فإنه سبحانه له ما أعطى وله ما أخذ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وهو الفعال لما يريد، القادر على ما يشاء له الخلق والأمر، بل إنما يتكلم العبد بكلام يُرضي به ربه، ويكثر به أجره، ويرفع به قدره.

وقال بعضهم:" لن يرى في الآخرة أرفع درجات من الراضين عن الله تعالى على كل حال، فمن وهب له الرضا فقد بلغ أفضل الدرجات ".

فالرضا هو باب الله الأعظم وجنة الدنيا، ومستراح العابدين. وأهل الرضا تارة يلاحظون المبتلى وخيرته لعبده في البلاء، وأنه غير متهم في قضائه، وتارة يلاحظون عظمته وجلاله وكماله، فيستغرقون في مشاهدة ذلك حتى لا يشعرون بالألم.

أصبح أعرابي وقد ماتت له أباعر كثيرة فقال:

لا والذي أنا عبد في عبادته لولا شماتة أعداء ذوي إحن
ما سرني أن إبلي في مباركها وأن شيئًا قضاه الله لم يكن

وكان عامر بن عبد قيس –رحمه الله– يقول:" أحببت الله حبًا سهل عليَّ كل مصيبة، ورضاني بكل قضية، فما أبالي مع حبي إياه ما أصبحت عليه وما أمسيت ".

كما قال بعضهم:

لا تخدعن فللحبيب دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمُرِّ بلائه وسروره في كل ما هو فاعل

وعندما قدم سعد بن أبي وقاص ﷺ مكة وكان قد كف بصره أسرع إليه الناس كل يسأله الدعاء وكان مُجاب الدعوة، فجعل يدعو لهذا ولهذا فقيل له: أنت مجاب الدعوة وتدعو للناس فهلا دعوت لنفسك أن يرد الله بصرك؟ فتبسم وقال: قضاء الله عندي أحب إلي من رد بصري ". (جنة الرضا:42/3)

هذا الموقف يظهر رضاه بقضاء الله وقدره وتسليمه بأمره، وأن ما قضاه الله وقدره هو أحب إليه من أي شيء آخر حتى لو كان بصره.

وقد انكسر ظفر إحدى الصالحات من السلف، فتبسمت وقالت:" أنساني حلاوة ثوابه مرارة وجعه ".

قال وهب بن منبه–رحمه الله–: وجدت في زبور داود يقول الله تعالى:" يا داود هل تدري من أسرع الناس ممرًا على الصراط؟ الذين يرضون بحكمي، وألسنتهم رطبة من ذكري".

وجاء في" عيون الأخبار" أن أعرابية اسمها أم غسان فقدت جميع أبنائها وفوق ذلك كف بصرها، مصيبة وأي مصيبة؟ كانت تعيش بمغزلها وتقول:

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الممات قليل

وإن افتقادي واحدًا بعد واحد دليل على أن لا يدوم خليل

الحمد لله على ما قضى، رضيت من الله ما رضي لي، وأستعين بالله على بيت ضيق الفناء قليل الإيواء.

كما قال بعض السلف:" ارْضَ عن الله في جميع ما يفعله بك، فإنه ما منعك إلا ليعطيك ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أمرضك إلا ليشفيك، ولا أماتك إلا ليحييك ".

فإياك أن تفارق الرضا عنه طرفة عين، فتسقط من عينه.

قال أبو عثمان الحيري–رحمه الله–:" منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حالٍ فكرهته، وما نقلني إلى غيره فسخطته ".

وشهد الحسن–رحمه الله–رجلًا يقول:" اللهم ارض عني، فقال له الحسن: لو رضيت عن الله لرضي الله عنك! فقال له الرجل: وكيف أرضى عن الله؟!! قال الحسن: إذا سُررت بالنقمة سرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله، وسوف يرضى الله عنك ".

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن ابن عون–رحمه الله– أنه قال: ارض بقضاء الله على ما كان من عُسر ويُسر؛ فإن ذلك أقل لغمِّك، وأبلغ فيما تطلب من أمر آخرتك، واعلم أن العبد لن يصيب حقيقة الرضا، حتى يكون رضاه عند الفقر والبلاء، كرضاه عند الغنى والرخاء، كيف تستقضي الله في أمرك، ثم تتسخط إن رأيت قضاءه مخالفًا لهواك؟! ولعل ما هويت من ذلك، لو وُفِّق لك، لكان فيه هلكك، وترضى قضاءه إذا وافق هواك، وذلك لقلة علمك بالغيب، وكيف تستقضيه؟ إن كنت كذلك ما أنصفك من نفسك، ولا أصبت باب الرضا ".

الأدب التاسع: أن لا تشكو الله تعالى إلى خلقه:

قال أحد الصالحين وقد رأى أخاه يشكو إلى الخلق:" يا هذا ما زدت على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك ".

وفي ذلك قيل: إذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

وقال علي ﷺ:" من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك، ولا تذكر مصيبتك ".

فالأنين والشكوى إلى الخلق وإن كان فيها راحة للمصاب إلا أنها تدل على ضعف وخور، والصبر عليها دليل قوة وعزة وهي إشاعة سر الله تعالى عند العبد، وهي تؤثر شماتة الأعداء، ورحمة الأصدقاء.

قال بعضهم: لا تشكون إلى صديق حالة تأتيك في السراء والضراء

فلرحمة المتوجعين مرارة في القلب مثل شماتة الأعداء

وقال شقيق البلخي–رحمه الله–:" من شكا مصيبة به إلى غير الله، لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوة أبدًا ".

وقال بعض الحكماء:" كنوز البر كتمان المصائب ".

قال عبدالعزيز بن أبي روّاد–رحمه الله–: ثلاثة من كنوز الجنة: كتمان المصيبة، وكتمان المرض، وكتمان الصدقة ".

رُوي أنه كان في زمن حاتم الأصم رجل يُقال له مُعاذٌ الكبير، أصابته مصيبة فجزع منها وأمر بإحضار النائحات، وكسر الأواني فسمعه حاتم، فذهب إلى تعزيته مع تلامذته، **وأمر تلميذًا له فقال:** إذا جلست فاسألني عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾(**سورة العاديات: ٦**) **فسأله، فقال حاتم:** ليس هذا موضع السؤال، فسأله ثانيا وثالثًا. **فقال:** معناه أن الإنسان لكفور، عدَّادٌ للمصائب، نسَّاءٌ للنعم. مثل معاذٍ هذا، إن الله–تبارك وتعالى– متعه بالنعم خمسين سنة، فلم يجمع الناس عليها شاكرًا لله ﷻ، فلما أصابته مصيبة جمع الناس يشكو من الله تعالى.

فقال معاذ: بلى. إن معاذًا لكنود عدَّاد للمصائب، نسَّاء للنعم. فأمر بإخراج النائحات وتاب عن ذلك.

أما الشكوى إلى الله فلا تنافي الصبر:

أما الشكوى إلى الله ﷻ فلا تنافي الصبر، **قال الله تعالى مخبرًا عن يعقوب عليه السلام:** ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾(**سورة يوسف: 86)، مع قوله:**﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ **(سورة يوسف:18)**

وقال أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ[1]﴾ **(سورة الأنبياء: ٨٣) فقال عنه تعالى:**﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ **(سورة ص:44)**

الأدب العاشر: حسن الظن بالله تعالى:

وحق على العبد أن يظن بربه خيرًا، وأن ينتظر منه فضلًا، وأن يرجو من مولاه لطفًا، فإن من أمره في كلمة "كُن"، جديرٌ أن يوثق بموعوده، وأن يتعلق بعهوده، فلا يجلب النفع إلا هو، ولا يدفع الضرّ إلا هو، وله في كل نفس لطفٌ، وفي كل حركة حكمةٌ، وفي كل ساعة فرجٌ، جعل بعد الليل صبحًا، وبعد القحط غيثًا، يُعطي ليُشكر، ويَبتلي ليعلم من صبر، يمنح النعماء ليسمع الثناء، يُسلِّط البلاء ليُرفع إليه الدعاء، فحريٌّ بالعبد أن يقوي معه الاتصال، ويمد إليه الحبال، ويكثر السؤال، **قال تعالى:** ﴿وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ﴾**(النساء:32)** ". اهـ **(من كتاب لا تحزن بتصرف)**

فمن الناس من يبتلى بلاءً شديدًا، فإذا طال به البلاء فإنه يسيئ الظنّ بربه، ويعتقد أن الله تعالى أراد به سوءًا، وأنه لا يريد معافاته، وأنه ظالم له، وهذا الظن جرم عظيم، وخطر جسيم. فالله سبحانه وتعالى منزّه عن الظلم، وهو الحكم العدل، بل هو الرحيم المتفضّل، **قال تعالى:** ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ **(النساء:40)**

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ **(يونس: 44).**

وفي الحديث القدسي الذي أخرجه الإمام مسلم يقول الله ﷻ:" يا عبادي إنِّي حرَّمتُ الظُّلمَ على نفسي وجعلتُهُ بينَكم محرَّمًا فلا تَظالموا... ".

فما أصابك وما قدّره الله تعالى عليك هو عين العدل، كما في الدعاء الوارد عن النبي ﷺ:" ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك ". (أخرجه أحمد في مسنده)

واعلم أن الله عند ظنّك به، فإن ظننت به خيرًا حقق ذلك لك، وإن ظننت به سوءًا كان الله عند ظنّك.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله ﷻ:" أنا عِندَ ظَنِّ عَبدي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَني ".

1- قال الثعلبي: سمعت أستاذنا أبا القاسم يقول:" حضرت مجلسًا غاصًا بالفقهاء والأدباء والسلطان، فسئلت عن هذه الآية بعد إجماعهم على أن قول أيوب شكاية، فقلت: ليست هذه شكاية، وإنما هو دعاء؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ **(الأنبياء:84)، والإجابة تعقب الدعاء لا الشكاية، فاستحبوه وارتضوه. (تفسير القرطبي:327/11)**

وقوله تعالى:" أنا عِندَ ظَنِّ عَبْدي بي"، يَعني: إن ظَنَّ باللهِ خَيرًا فَلَه، وإن ظَنَّ بِه سِوَى ذلك فَلَه، وحُسنُ الظَّنِّ باللهِ عزَّ وجلَّ يَكونُ بفِعلِ ما يُوجِبُ فَضلَ اللهِ وَرَجاءَه، فيَعمَلُ الصَّالِحاتِ، ويُحسِنُ الظَّنَّ بأنَّ اللهَ تَعالَى يَقبَلُه، فاللهُ سُبحانَه عِندَ مُنتهَى أمَلِ العَبدِ به، وعلى قَدرِ ظَنِّ واعتِقادِ العَبدِ فيه، ويَكونُ عَطاءُ اللهِ وجَزاؤُه من جِنسِ ما يَظُنُّه العَبدُ في اللهِ ثَوابًا أو عِقابًا، خَيرًا أو شَرًّا، فمَن ظنَّ باللهِ أمرًا عَظيمًا وَجَدَه وأعْطاه اللهُ إيَّاهُ، واللهُ لا يَتعاظَمُه شَيءٌ، أمَّا أن يُحسِنَ الظَّنَّ وهو لا يَعمَلُ، فهذا من بابِ التَّمَنِّي على اللهِ، ومَن أتبَعَ نَفسَه هَواها، وتَمَنَّى على اللهِ الأمانيَّ فهو عاجِزٌ ". **(الدرر السنية)**

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان بسند صحيح عن حَيَّانَ أبي النضر قال:" خرجت عائدًا ليزيدَ بن الأسود، فلقيتُ واثلةَ بن الأسقع وهو يريدُ عيادتَهُ، فدخلنا عليه، فلما رأى واثلةَ بَسَطَ يَدَهُ وجعل يشيرُ إليه، فأقبل واثلةُ حتى جلس، فأخذ يزيد بكفيْ واثلةَ فجعلهما على وجهه، فقال له واثلةُ: كيف ظَنُّكَ بالله؟ فقال: ظني بالله واللهِ حَسَنٌ، قال واثلةُ: فأبشر، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:" قال الله ﷻ: أنا عند حُسن ظن عبدي بي إن ظن خيرًا فَلَهُ، وإن ظَنَّ شَرًا فَلَهُ ". (قال الألباني سنده صحيح، انظر الصحيحة:25/4)

– وفي رواية: يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ:" أنا عند ظنِّ عبدي بي فليظُنَّ بي ما شاء". (رواه أحمد والطبراني)

قال ابن الجوزي–رحمه الله– في قوله تعالى:" أنا عند حُسن ظن عبدي بي"." أي: في الرجاء وأمل العفو".

وقال ابن القيم –رحمه الله– كما في الجواب الكافي ص:36:" يعني ما كان في ظنّه فإني فاعله به ".

ويقول سهل القطعي:" رأيت مالك بن دينار–رحمه الله– في منامي، فقلت: يا أبا يحيى ليت شعري ماذا قدمت به على الله ﷻ؟ قال: قدمت بذنوب كثيرة فمحاها عني حسن الظن بالله". **(حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ص:96)**

فاجعل أخي الحبيب حسن الظن بالله تعالى شعارك ودثارك، وقوِّ به رجاءك.

- **وقد أمر النبي ﷺ بحسن الظن بالله تعالى عند الموت.**

فقد أخرج الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله–رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ قال:" لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ".

– قال النووي–رحمه الله– في شرحه على مسلم: 28/17" قال العلماء: هذا تحذير من القنوط، وحث على الرجاء عند الخاتمة، ومعنى حسن الظنّ بالله تعالى أن يظنّ أنه يرحمه ويعفو عنه.

وقال العلماء: ومعنى إحسان الظن بالله أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، وفي حالة الصحة يكون خائفًا راجيًا، وإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه؛ لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعة وصالح الأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذه الحالة، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له ". اهـ

– جاء في" كتاب حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ص:92 عن عبد الله بن المبارك–رحمه الله– قال:

" جئت إلى سفيان عشية عرفة وهو جاثٍ على ركبتيه وعيناه تهملان فبكيت: فالتفت إليّ، فقال: ما شأنك؟ فقلت: من أسوأ هذا الجمع حالًا؟ قال: الذي يظن أن الله ﷻ لا يغفر لهم ".

وقال بعضهم:

إذا ابتليتَ فثق بالله وارض به إن الذي يكشف البلوى هو الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته ما لامرئ حيلة فيما قضى الله
اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه لا تيأسن فإن الصانع الله

(أدب الدنيا والدين ص:469)

وللعلامة ابن القيم–رحمه الله– كلام قيّم حول إساءة الظنّ بالله ووجوب التوبة منه، إليك طرفًا منه؛ قال– رحمه الله–:" أكثر الخلق، بل كلهم – إلا من شاء الله– يظنون بالله غير الحق ظنّ السوء، فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق، ناقص الحظ وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله، **ولسان حاله يقول:** ظلمني ربي، ومنعني ما أستحقه، ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به، ومن فتّش نفسه، وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها، رأى ذلك فيها كامنًا كمون النار في الزّناد، فاقدح زناد من شئت ينبئك شراره عما في زناده، ولو فتشت من فتشته، لرأيت عنده تعتبًا على القدر وملامة له، واقتراحًا عليه خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك. فإن تنجُ منها تنج من ذي عظيمةٍ وإلا فـــإني لا إخـــالُك ناجيـــًا

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليتب إلى الله تعالى وليستغفره كلّ وقت من ظنه بربه ظن السوء، وليظنَّ السوء بنفسه التي هي مأوى كل سوء، ومنبع كل شر، المركبة على الجهل والظلم، فهي أولى بظن السّوء من أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وأرحم الراحمين، الغني الحميد، الذي له الغنى التام، والحمد التام، والحكمة

التامة، المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته، وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه، وصفاته كذلك، وأفعاله كذلك، كلها حكمة ومصلحة، ورحمة وعدل، وأسماؤه كلها حسنى.

فلا تَظْنُنْ بربّك ظن سوءٍ فإن الله أولى بالجميل
ولا تظنن نفسك قطّ خيرًا وكيف بظالمٍ جانٍ جهول
وقل يا نفس مأوى كل سوءٍ أيُرجى الخير من ميتٍ بخيل
وظنّ بنفسك السّوء تجدها كذاك وخيرها كالمستحيل
وما بك من تقى فيها وخيرٍ فتلك مواهب الرّب الجليل
وليس بها ولا منها ولكن من الرحمن فاشكر للدّليل

(زاد المعاد:3/235)

ومن المعلوم أن من أحسن الظن بالله؛ فإنه سيحب لقاءه، ومن أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبادةَ بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ قال:" من أحبَّ لقاءَ الله أحب الله لقاءَهُ، ومن كره لقاءَ الله كرِهَ اللهَ لقاءَه ".

– وفي رواية أخرى عند البخاري ومسلم أيضًا عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" قال الله ﷻ: إذا أحب عبدي لقائي أحببتُ لقاءهُ وإذا كرِهَ لقائِي كرهتُ لقاءه ".

وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة–رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ:" من أحَبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءهُ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءَهُ، فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت؟ فكُلُّنَا نَكْرهُ الموت. قال: ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا بُشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحبَّ لقاءَ الله فأحَبَّ اللهُ لقاءهُ، وإن الكافرَ إذا بشر بعذابِ الله وسخطِهِ كرِهَ لقاء الله وكرِه الله لقاءهُ ".

الأدب الحادي عشر: ألا يُتحاكم إلا إلى شرع الله تعالى:

فمن سوء الأدب مع الله تعالى تقديم القوانين الوضعية على شرعية رب البرية سبحانه.

وهناك حقيقة لا مرية فيها ولا جدال؛ وهي أن الله عز وجل خالق الخلق ومدبر الكون، خلق الانسان في أحسن تقويم كما قال في كتابه الكريم: **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(سورة التين:4)**

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ(6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ(7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (سورة الانفطار:6–8)

والله سبحانه وتعالى أعلم بما يصلح شأن هذا الإنسان الذي خلقه وأبدعه، وهو أعلم أيضًا ما يفسد حاله، **كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (سورة الملك:14)**

والله سبحانه وتعالى العليم الخبير وضع للإنسان الذي هو من صنعه وإبداعه تعليمًا ومبادئ وقواعد تنظم شؤون حياته الدنيا، وتكفل لهم العيش الرغد، والحياة الآمنة المطمئنة، والسعادة في الدنيا والآخرة.

وحيث أنه سبحانه وتعالى خالق الخلق؛ فهو أيضا له الأمر، **كما قال تعالى:** ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ **(سورة الأعراف:54)**

لكن هناك من يقول: أن الله له الخلق، وليس له الأمر، ونسي هذا المسكين أن إبليس اللعين طُرد من الجنة لما رد أمرًا واحدًا من أوامر الله تعالى، واستحق اللعنة، فكيف بمن يرد شريعة رب العالمين ولا يتحاكم إليها؟

إن التحاكم إلى الشريعة الإسلامية أمر أوجبه رب البرية على الناس أجمعين؛ أفرادًا وجماعات.

قال تعالى: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ**﴾ **(سورة الأنعام: 57)**

وقال تعالى: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ **(سورة يوسف:40)**

وقال تعالى: ﴿**فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ**﴾ **(سورة غافر:12)**

وأمر رب العالمين عباده أجمعين أن يردوا الأمر إليه عند التنازع والاختلاف:

قال تعالى: ﴿**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ**﴾ **(سورة الشورى:10)**

وقال تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ **(سورة الزمر:46)**

وقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ**﴾ **(سورة النساء: 105)**

وبين رب العالمين في كتابه الكريم أن الرد إلى الشريعة دليل على إيمان العبد.

فقال تعالى: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ **(سورة النساء: 59)**

وجعل الله التحاكم إلى الشريعة والرضا بما جاءت به فارقًا بين المؤمنين والمنافقين:

فقال رب العالمين في شأن المؤمنين: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ **(سورة النور:51)**

نعم هم المفلحون لأنهم سمعوا وأطاعوا وأذعنوا لشريعة رب العالمين وما جاء به الرسول الأمين. وكل من لم يسمع ويطيع فله حظ ونصيب من قول رب العالمين حيث يقول في شأن المنافقين: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا**﴾ **(سورة النساء:61)**

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور مروان محمد مصطفى شاهين أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين جامعه الأزهر بالقاهرة عند قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (سورة النساء: 59)

فالله عز وجل علق الإيمان على رد التنازع إلى كتاب الله تبارك وتعالى وإلى سنة نبيه ﷺ، وأقسم الله عز وجل بذاته الشريفة أن إيمان المؤمنين لن ينعقد ولن يتم إلا إذا حكَّموا الرسول ﷺ في كل شأن من شؤون حياتهم، بل أنه سبحانه وتعالى لم يكتف منهم بمجرد التطبيق، بل اشترط عليهم أن يرضوا بهذا الحكم وإن يخضعوا ويستسلموا له خضوعًا كاملًا واستسلامًا تامًا، **فقال عز من قائل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة النساء:65)**

وبين سبحانه أن القرآن الكريم جاء لخيرنا وهدايتنا وإسعادنا في الدنيا والآخرة، لذلك لن يقبل الله تبارك وتعالى حكمًا غير حكم القرآن الكريم وحكم النبي ﷺ، **قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (سورة الأحزاب:36)**

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًا

كما أن النبي ﷺ في جملة من الأحاديث يؤكد هذا الأمر ويرسخه في وجدان الأمة المؤمنة فقال ﷺ:" كُلُّ أُمَّتِي يَدخُلونَ الجَنَّةَ إلَّا مَن أبى، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، ومَن يَأبى؟ قال: مَن أطاعَني دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَن عَصاني فقد أبى". (أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة)

فهؤلاء الذين يقولون أن الشريعة الإسلامية لا تصلح لهذا الزمان نقول لهم: **﴿أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ (سورة البقرة:140) والجواب: ﴿وَاللَّهُ يَعلَمُ وَأنتُمْ لا تَعلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: 216)**

نقول لهؤلاء: العلمانية خير أم الله؟ الليبرالية خير أم الله؟ الديمقراطية خير أم الله؟ الشيوعية خير أم الله؟ الرأسمالية خير أم الله؟ الاشتراكية خير أم الله؟ **وقد قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (سورة المائدة:50) الجواب:** لا أحد. فالله هو الحكم العدل، لا يدانيه أحد في حكمه، ولا في عدله، **أليس هو القائل سبحانه: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ (سورة التين:8)**

الأدب الثاني عشر: التوكل على الله تعالى [1]:

فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الموكل، ولا يتوكل الإنسان على غيره إلا إذا اعتقد فيه أشياء، منها: الشفقة، والقوة، والهداية، فإذا عرفت هذا، فقس عليه التوكل على الله سبحانه وتعالى، وإذا ثبت في نفسك أنه لا فاعل سواه، واعتقدت مع ذلك أنه تام العلم والقدرة والرحمة، وأنه ليس وراء قدرته قدرة، ولا وراء رحمته رحمة، اتكل قلبك عليه وحده لا محالة، ولم يلتفت إلى غيره بوجه. اهـ

فالتوكُّل هو: صدق اعتماد القلب على الله وَحْدَهُ وَتَفْويضُ الأَمْرِ إِلَيْهِ في استجلاب المصالح ودفع المضارِّ، مَعَ الأَخْذِ بالأسباب، وأن يَكِلَ العبد أموره كلها إلى الله تعالى وأن يعتقد يقينًا بأنه لا يعطي ولا يمنع، ولا يضر ولا ينفع سواه جلَّ وعلا. وهو علامة لصدق الإيمان، وفيه ملاحظة عظمة الله وقدرته، واعتقادُ الحاجة إليه، وعدم الاستغناء عنه، وهذا أدب عظيم مع الخالق يدلُّ على محبَّة العبد ربَّه؛ فلذلك أحبَّه الله. **(انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص: 409)**

فالتوكل:" هو صدق اعتماد القلب على الله تعالى في جلب المصالح، ودفع المضار في أمور الدنيا والآخرة، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه ". اهـ

يقول الشيخ أبو بكر الجزائري–رحمه الله– في "كتابه عقيدة المؤمن":" التوكل هو الاستسلام لله تعالى وتفويض الأمر إليه، اعتمادًا ووثوقًا به، أمر الله تعالى به في غير آية من كتابه، وجعله آية الإيمان وعلامته، **فقال تعالى**: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾(**سورة الأحزاب:33**) **وقال تعالى**: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (**سورة المائدة:23**) **ووعد بالكفاية للمتوكلين عليه في قوله**: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾(**سورة الطلاق:3**) **وخص التوكل به فقال تعالى**:﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾(**إبراهيم:12**)، فالتوكل إذا عبادة قلبية، وهو سكون القلب إلى كفاية الله تعالى، وتفويض الأمور إلى الله تعالى لكفايته، والاعتماد عليه تعالى لعلمه وقدرته ". اهـ

- **والتوكل على الله من الصفات التي يحبها الله ويحب أهلها.**

قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ **(سورة آل عمران: 159)**.

قال السعدي–رحمه الله– في تفسيره:" وقوله تعالى: ﴿**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾ أي: اعتمد على حول الله وقوته، متبرئا من حولك وقوتك، ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ عليه، اللاجئين إليه ".

1– للمؤلف رسالة عن فضل التوكل على الله ضمن سلسلة "الكتاب الجامع للفضائل"، فارجع إليها فضلًا لا أمرًا.

وحَقِيقَةُ التَّوَكُل عندَ أَهْلِ السُّنَّةِ: قِيَامُ الجَوَارِحِ بِالأَسْبَابِ، واعتِمَادُ القَلْبِ عَلَى مُسَبِّبِ الأَسْبَابِ.

قَالَ تعَالَى عَنْ مَرْيَمَ–عَلَيْهَا السَّلام–: ﴿وَهُزِي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ **(سورة مريم:25)**

وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ –عَزَّ وَجَلَّ– يَأْمُرُ بِاتِّخَاذِ الأَسْبَابِ، كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿**وَهُزِي**﴾ فَأَمَرَ اللَّهُ بِذَلِكَ مَعَ إِمْكَانِ تَقْدِيمِ ذَلِكَ الرطب في صَحَائِفَ مِنْ ذَهَب **(انظر تفسير ابن كثير:3/١١١)**

قال القائل:

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ حَاجَةٍ وَلا تُؤْثِرَنَّ العَجْزَ يَوْمًا عَلَى الطَّلَب

أَلَمْ تَـرَ أَنَّ اللَّهَ قَـالَ لِمَـرْيَمَ إِلَيْكَ فَهُزِي الجِذْعَ يَسَّاقط الرطـب

وَلَوْ شَاءَ أَنْ تَجْنِيهِ مِنْ غَيْرِ هَزِها جَنَتْهُ وَلَكِـنْ كُـلَّ شَيْءٍ لَهُ سَبب

قال ابن القيم–رحمه الله–:" التوكل حال مركبة من مجموع أمور لا يتم إلا بها، **أولها**: معرفة بالرب وصفاته من العلم والقدرة والقيومية. **الثاني**: الأخذ بالأسباب، فإن الله ﷻ جعل لكل شيء سببًا. **الثالث**: رسوخ القلب في مقام التوحيد، فلا يلتفت إلى غير الله ﷻ. **الرابع**: اعتماد القلب على الله، فلا يتعلق بالأسباب، ولكن يعتمد على مدبر الأمر ومسبب الأسباب. **الخامس**: أن يحسن العبد ظنه بربه ومولاه، فيعتقد أن تدبير الله ﷻ له خير من تدبيره لنفسه. **السادس**: أن يستسلم لهذا التدبير. **السابع**: أن يفوض الأمور كلها لله عز وجل. **الثامن**: أن يرضى بقضاء الله ﷻ.

والاستخارة نوع من أنواع التوكل: وقد كان النبي ﷺ يعلم الصحابة الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن، لما في صلاة الاستخارة ودعائها من تدريب وتعويد على التوكل على الله، فالمستخير يعلن عن عجزه عن اختيار ما ينفعه فيلجأ إلى ربه يطلب منه سبحانه بما لديه من علم تام وقدرة بالغة أن يختار له ما ينفعه وما يصلحه ثم يثق في اختيار الله ﷻ له، ويرضى بما قدره الله عز وجل له.

وهذا معنى قول النبي ﷺ في دعاء الاستخارة:" **اللَّهمَّ إنِّي أستخيرُكَ بعلْمِكَ وأستقدِرُكَ بقدرتِكَ وأسألُكَ مِن فضلِكَ العظيمِ** ". فهذا توكل وتفويض،" **فإنَّكَ تقدِرُ ولا أقدِرُ، وتعلَمُ ولا أعلَمُ، وأنتَ علَّامُ الغُيوبِ**"، فهذا تبرؤ إلى الله من العلم والحول والقوة، وتوسل إلى الله سبحانه بصفاته التي هي أحب ما توسل به المتوسلون، ثم سأل ربه أن يقضي له ذلك الأمر إن كان فيه مصلحته عاجلًا أو آجلًا وأن يصرفه عنه إن كان فيه مضرته عاجلًا أو آجلًا، فهذه حاجته التي سألها، فلم يبق عليه إلا الرضى بما يقضيه الله عز وجل له،" **واقدرْ ليَ الخيرَ حيثُ كانَ ثمَّ رضِّني بهِ** ". **(مدارج السالكين:2/128)**

ويقول ابن القيم –رحمه الله– أيضًا في" كتابه الفوائد ص:167":" من ترك الاختيار والتدبير في رجاء الزيادة، أو خوف نقصان، أو طلب صحة، أو فرار من سقم، وعلم أن الله على كل شيء قدير، وأنه المتفرد بالاختيار والتدبير، وأن تدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه، وانه أعلم بمصلحته من العبد، وأقدر على جلبها وتحصيلها منه، وأنصح للعبد منه لنفسه، وأرحم به منه بنفسه، وأبر به منه بنفسه وعلم مع ذلك أنه لا يستطيع أن يتقدم بين يدي تدبيره خطوة واحدة، ولا يتأخر عن تدبيره له خطوة واحدة، فلا متقدم له بين يدي قضائه وقدره ولا متأخر، فألقى نفسه بين يديه، وسلم الأمر كله إليه، وانطرح بين يديه انطراح عبد مملوك ضعيف بين يدي ملك عزيز قاهر، له التصرف في عبده بكل ما يشاء، وليس للعبد التصرف فيه بوجه من الوجوه —استراح حينئذٍ من الهموم والغموم والأنكاد والحسرات— وحمَّل كل حوائجه ومصالحه إلى من لا يبالي بحملها ولا يثقله ولا يكترث بها، فتولاها دونه وأراه لطفه وبره ورحمته وإحسانه فيها من غير تعب من العبد ولا نصب ولا اهتمام منه، لأنه قد صرف اهتمامه كله إليه، وجعله وحده همه، فصرف عنه اهتمامه بحوائجه ومصالح دنياه وفرَّغ قلبه منها، فما أطيب عيشه وما أنعم قلبه وأعظم سروره وفرحه.

وإن أبى إلا تدبيره لنفسه، واختياره لها، واهتمامه بحظه دون حق ربه، خلاَّه وما اختاره، وولاه ما تولى، فحضره الهمّ والغمّ والحزن والنكد والخوف والتعب وكسف البال وسوء الحال، فلا قلب يصفو، ولا عمل يزكو ولا أمل يحصل، ولا راحة يفوز بها ولا لذة يتهنى بها، بل قد حيل بينه وبين مسرَّته وفرحه وقرة عينه، فهو يكدح في الدنيا كدح الوحش، فلا يظفر منها بأمل ولا يتزود منها لمعاد.

والله سبحانه، قد أمر العبد بأمر، وضمن له ضمانًا، فإن قام بأمره بالنصح والصدق والإخلاص، قام الله سبحانه له بما ضمنه له من الرزق والكفاية والنصر وقضاء الحوائج، فإنه سبحانه ضمن الرزق لمن عبده، والنصر لمن توكل عليه واستنصر به، والكفاية لمن كان هو همّه ومراده، والمغفرة لمن استغفره، وقضاء الحوائج لمن صدقه في طلبها ووثق به وقوي رجاؤه وطمعه في فضله وجوده. فالفطن الكيِّس، إنما يهتم بأمره وإقامته وتوفيته لا بضمانه، فإنه الوفيُّ الصادق، ومن أوفى بعهده من الله. فمن علامات السعادة صرف اهتمامه إلى أمر الله دون ضمانه. ومن علامات الحرمان فراغ قلبه من الاهتمام بأمره وحبه وخشيته والاهتمام بضمانه. والله المستعان ". اهـ

النبي–صلى الله عليه وسلم– يعلم أمته حسن التوكل على الله.

وقد أخرج ابن حبان من حديث عمرو بن أمية ﷺ قال: قال رجُلٌ لِلنَّبيِّ ﷺ: أُرسِلُ ناقتي وأتوكَّلُ؟ قال: " اعقِلْها [1] وتوكَّلْ ". (صحيح ابن حبان: 731)

وأخرج أبو داود والترمذي من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:" مَن قالَ إذا خرجَ من بيتِهِ: بِسمِ اللَّهِ، توَكَّلتُ علَى اللَّهِ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللَّهِ[2]، يقالُ لهُ[3]: هُديتَ[4]، وكُفيتَ[5]، ووُقيتَ[6]، فيتنَحَّى عنهُ الشَّيطانُ[7]، ويقولُ شيطانٌ آخرُ: كيفَ لَكَ برجُلٍ هُدِيَ، وَكُفيَ، ووقيَ؟".

وأخرج الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:" كيفَ أنعَمُ وقدِ التقَمَ صاحبُ القرنِ القرنَ وحنَى جبهتَهُ وأصغى سمعَهُ ينتَظِرُ أن يؤمَرَ أن ينفخَ فينفخ قالَ المسلمونَ: فَكَيفَ نقولُ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: قولوا حَسبُنا اللَّهُ ونعمَ الوَكيلُ [8]، توَكَّلنا على اللَّهِ ربِّنا [9]، وربَّما قالَ سفيانُ: على اللَّهِ توَكَّلنا ". (صحيح الترمذي: 3243)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث ابن عباس–رضي الله عنهما– قال: كنت خلف النبي ﷺ يوما، فقال: يا غُلامُ! [10]إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ [11]يحفَظكَ [12]، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ

1– اعقلها: العقال هو الحبل الذي تربط به الدابة.

2– لا حول ولا قوة إلا بالله: الانتقال عن المعصية ولا قدرة على فعل الطاعة إلا بعون الله.

3– يقال له: يحتمل أن يكون القائل هو الله تعالى أو ملك يأمره الله عز وجل.

4– هديت: إلى طريق الحق.

5– كفيت: أي كفيت همك.

6– وقيت: حفظت من كل شر.

7– تنحى عنه: أي مال من جهته وابتعد عن طريقه.

8– وقول النبي ﷺ:" قُولوا: حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكيلُ"، بمَعْنى أنَّ اللهَ هو كافينا، وهو نِعْمَ المَوْكولُ إليه، ونِعمَ المَولى ونِعمَ النَّصيرُ.

9–" تَوَكَّلْنا على اللهِ رَبِّنا"، أو" على اللهِ تَوَكَّلْنا"، أي: إليه فوَّضْنا أمْرَنا، وهذه الكَلِمةُ تُقالُ عِندَ الأُمورِ العَظيمةِ، وما يُصيبُ المُسلِمِ مِن فَزَعٍ أو خَوفٍ.

10– "يا غلامُ"، والغُلامُ هو الصَّبيُّ الصَّغيرُ الَّذي لم يَبلُغِ الحُلُمَ بَعدُ.

11– "احفَظِ اللهَ"، أي: احْفَظْ حُدودَه وحُقوقَه وأوامَرَه ونواهيَه

12– "يَحْفَظْكَ"، أي: إذا اتَّقيتَه وحَفِظتَه كان جَزاؤُك أن يَصونَك مِن الشُّرورِ والموبِقاتِ ويَحفَظَك في نَفسِك وأهلِك ومالِك ودِينِك ودُنياك، ويَحفظَك مِن مكارِهِ الدُّنيا والآخِرَة؛ فحِفظُ اللهِ لعَبدِه نوعان؛ أحَدُهما: حِفظُه له في مَصالِحِ دُنياه، كحِفْظِه في بدَنِه وولَدِه، وأهلِه ومالِه؛ قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِن أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد: 11)؛ فمَن حَفِظ اللهَ في صِباه وقوَّته، حَفِظه اللهُ في حالِ كِبَرِه وضَعْفِ قوَّته، ومتَّعه بسَمعِه وبصَرِه وحَوْلِه وقوَّتِه وعقلِه. النَّوعُ الثَّاني: حِفظُ اللهِ للعبدِ في دِينِه

فاسألِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ [1] وجفَّتِ الصُّحفُ [2] ". (صحيح الترمذي: 2516)

– وفي رواية الإمام أحمد:" احفظ الله تجده أَمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أَن ما أَخطأَك لم يكن ليصيبك، وما أَصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أَن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسرِ يسرا ".

وهذا الحَديثُ أصلٌ عظيمٌ في مُراقبةِ اللهِ، ومُراعاةِ حقوقِه، وتَفويضِ الأُمورِ إليه، والتَّوكُّلِ عليه، وشُهودِ تَوحيدِه وتفرُّدِه، وعجْزِ الخلائقِ كلِّهم وافتقارِهم إليه وحدَه، وفيه أبلغُ ردٍّ على مَن اعتقَدَ النَّفعَ والضرَّ في غَيرِ الله مِن الأولياءِ والصَّالِحين وأهلِ القبورِ، أو سألَهم واستعانَ بِهم مِن دُونِ اللهِ تعالى.

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَنْ أَصابَتْهُ فَاقَةٌ[3] فَأنزلَها بِالناسِ[4]، لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، ومَنْ أنزلَها باللهِ[5]، أَوْشَكَ اللهُ لهُ بِالغِنَى، إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ، أَوْ غِنًى عَاجِلٍ ". (الصحيحة: 2787) (صحيح أبي داود: 1645)

قَالَ أحدُ الْحُكَمَاءِ:" التَّوَكُّلُ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ: أُولَاهَا تَرْكُ الشِّكَايَةِ، وَالثَّانِيَةُ الرِّضَا، وَالثَّالِثَةُ الْمَحَبَّةُ، فَتَرْكُ الشِّكَايَةِ دَرَجَةُ الصَّبْرِ، وَالرِّضَا سُكُونُ الْقَلْبِ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، وَهِيَ أَرْفَعُ مِنَ الْأُولَى، وَالْمَحَبَّةُ أَنْ يَكُونَ حُبُّهُ لِمَا يَصْنَعُ اللَّهُ بِهِ، فَالْأُولَى لِلزَّاهِدِينَ، وَالثَّانِيَةُ لِلصَّادِقِينَ، وَالثَّالِثَةُ لِلْمُرْسَلِينَ ". **(التوكل لابن أبي الدنيا:84)**

وإيمانه، فيَحفَظُه في حَياتِه مِن الشُّبهاتِ المضلَّةِ، ومِن الشَّهَواتِ المحرَّمةِ، ويَحفَظُ عليه دِينَه عندَ موتِه، فيتوفَّاه على الإيمانِ، وعلى العكسِ من هذا؛ فمَن ضيَّع اللهَ ضيَّعه اللهُ، فضاع بينَ خلقِه، حتَّى يَدخُلَ عليه الضَّررُ والأذى ممَّن كان يَرْجو نفْعَه مِن أهلِه وغيرِهم.

1– "رُفِعَت الأقلامُ"، أي: كُتِبَت مَقاديرُ الخلائقِ جميعًا، ورُفِع القلمُ، فلا زِيادةَ ولا نُقْصانَ في كِتابَةِ الأحْكامِ.

2– "وجَفَّتِ الصُّحفُ"، أي: جفَّت الصُّحفُ بما كتَبَته الأقلامُ فيها مِن مَقاديرِ الخلائقِ، فلا تَبْديلَ ولا تَغْييرَ، فكلُّ شيءٍ قد كُتِبَ في اللَّوحِ المحفوظِ؛ فعبَّر عن سبْقِ القضاءِ والقدَرِ برَفْعِ القلَمِ، وجَفافِ الصَّحيفةِ.

3– فاقة: الحاجة والفقر.

4– فأنزلها بالناس: طلب إزالتها بطريق الشكوى والسؤال.

5– أنزلها بالله: أي طلب إزالتها من الله بالدعاء والتوكل وحسن الظن.

وقال شقيق البلخي–رحمه الله–:" لكل واحد مقام؛ فمتوكل على ماله، ومتوكل على نفسه، ومتوكل على لسانه، ومتوكل على سيفه، ومتوكل على سلطته، ومتوكل على الله تعالى، فأما المتوكل على الله عز وجل فقد وجد الراحة.

قال تعالى:﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾(الفرقان:58)

(الجامع لشعب الإيمان:181/2)

ففي التوكل راحة البال، واستقرار في الحال، ودفع كيد الأشرار وهو من أقوى الأسباب لدفع أذى الخلق وشر الأشرار، وبالتوكل تستغني النفس عما في أيدي الناس.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله– في" الفتاوى:57/10":" وما رجا أحدٌ مخلوقًا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه ".

فمن فوض أمره إلى مولاه حاز مناه فألق كنفك بين يدي البارئ سبحانه وتعالى وعلق رجاءك به، وسلم الأمر له واقطع العلائق عن الخلائق وتعلق بالخالق، فلا ترج إلا إياه ولا تتوكل إلا عليه.

الأدب الثالث عشر: أن يؤثر العبد رضى الله تعالى على رضى الخلق جميعًا:

فقد أخرج الترمذي من حديث عائشة–رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ:" من التمس رِضا اللهِ بسخَطِ الناسِ؛ رضِيَ اللهُ عنه، وأرْضى عنه الناسَ، ومن التَمس رضا الناسِ بسخَطِ اللهِ، سخِط اللهُ عليه، وأسخَط عليه الناسَ ". (صحيح الترغيب والترهيب: 2250)

– وفي رواية:" منِ التمسَ رضا اللَّهِ بسَخطِ النَّاسِ كفاهُ اللَّهُ مؤنةَ النَّاسِ، ومنِ التمسَ رضا النَّاسِ بسخطِ اللَّهِ وَكلَهُ اللَّهُ إلى النَّاسِ ". (صحيح الترمذي: 2414)

وقفة:

لَمَّا وَلِيَ عُمرُ بنُ هُبَيرةَ الفَزَارِيُّ العراقَ؛ وذلك في أيّامِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ استدعى الحسنَ البصريَّ، ومحمدَ بنَ سِيرينَ، والشَّعبيَّ سنةَ ثلاثٍ ومئةٍ، فقال لهم: إنَّ يزيدَ خليفةُ اللهِ اسْتَخْلَفَه على عِبادِه، وأَخَذَ عليهم الميثاقَ بِطَاعَتِه، وأَخَذَ عهدَنا بالسَّمع والطَّاعة، وقد وَلاَّني ما ترونَ، فيكتبُ إليَّ بالأمرِ مِن أَمْرِه أَعْرِفُ في تَنْفِيذِه الهَلَكَةَ، فأخافَ إنْ أَطَعْتُه غَضَبَ اللهَ، وإنْ عَصَيْتُه لم آمنْ سَطْوَتَه، فما ترون؟

فقال ابنُ سيرينَ، والشّعبيُّ قولا فيه تَقِيَّةٌ، وكان ابنُ هُبيرةَ لا يستشفي دونَ أَنْ يسمعَ قولَ الحسنِ، فقال: قل ما عندَك يا أبا سعيدٍ، فقال: يا ابنَ هُبيرةَ، خَفِ اللهَ في يزيدَ، ولا تَخَفْ يزيدَ في اللهِ.

إنَّ اللهَ يَمْنَعُك مِن يزيدَ، وَإنَّ يزيدَ لا يَمْنَعُك مِن اللهَ، وَأُوشِكَ أَنْ يَبْعَثَ إليك مَلَكًا فَيُزِيلَك عن سريرِك، ويُخْرِجَك مِن سَعَةِ قَصْرِك إلى ضِيقِ قَبْرِك، ثم لا يُنْجِيك إلا عَمَلُك.

يا ابنَ هُبيرةَ، إنْ تَعْصِ اللهَ فإنما جَعل اللهُ هذا السلطانَ ناصرًا لدينِ اللهِ وعبادِه فلا تَرْكَبَنَّ دينَ اللهِ وعبادِه بِسلطانِ

اللهِ فإنَّه لا طاعةَ لِمَخْلوقٍ في معصيةِ الخالقِ.

وفي رواية أخرى قال: أقولُ واللهِ إنَّه يُوْشِكُ أَنْ يَنْزِلَ بك مَلَكٌ مِن ملائكةِ اللهِ فَظٌّ غليظٌ لا يعصي اللهَ ما أمَرَه فيُخْرِجَك مِن سَعَةَ قَصْرِك إلى ضِيقِ قَبْرِك فلا يُغْنِي عنك ابنُ عبدِ الملكِ شيئًا، وإنِّي لأرجو أَنَّ اللهَ -عز وجل- سيعْصِمُك مِن يزيدَ، وإنَّ يزيدَ لا يَمْنَعُك مِن اللهِ، فاتَّقِ اللهَ أيُّها الأميرُ؛ فإنَّك لا تَأْمَنُ أَنْ ينظرَ اللهُ إليك وأنت على أقبحِ ما تكونُ عليه مِن طاعةِ يزيدَ نَظْرَةً يَمْقُتُك بها فيُغْلِقَ عنك بابَ الرَّحمةِ. واعلمْ أَنِّي أُخَوِّفُك ما خَوَّفك اللهُ سبحانه حين يقولُ: ﴿**ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ**﴾. وإذا كنتَ مع اللهِ-عز وجل- في طاعتِه كفاك بَوَائِقَ[1] يزيدَ، وَإِنْ كنتَ معَ يزيدَ على معصيةِ اللهِ وَكَلَكَ اللهُ إلى يزيدَ حين لا يُغْنِي عنك شيئًا. فبكي عُمرُ بنُ هُبيرةَ بكاءً شديدًا، ثم أجازَهم وأَضْعَفَ جائزةَ الحسنِ. فقال الشَّعبيُّ لابنِ سيرينَ: سَفْسَفْنا له فَسَفْسَفَ[2] لنا. **(وفيات الأعيان1: ١٢٨) (الحسن البصري لابن الجوزي ص:٥٢) (مروج الذهب2: ١٧٨)(عيون الأخبار ٢/ ٣٤٣)**

الأدب الرابع عشر: غيرة العبد لله، وغيرته على الله تعالى:

فالغيرة لله: أن يكره ما يكره، **والغيرة على الله**: أن يغار إذا عُصِي، وانتهك حقه، وضيع أمره، فهذه غيرة المحب حقا، والدين كله تحت هذه الغيرة.

فعندما يتمكن حبُّ الله تعالى في قلب العبد، فإن هذا من شأنه أن يجعله يغار لمولاه، وعلى محارمه أن تنتهك، وحدوده أن تُتَجاوز، وأوامره أن تُخالف.

وأقوى الناس دينًا أعظمهم غيرة. وقد قال النبي ﷺ:" أَتَعْجَبُونَ مِن غَيْرَةِ سَعْدٍ، واللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ منه، واللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي...". (أخرجه البخاري من حديث المغيرة بن شعبةرضي الله عنه)

فمحب الله يغار لله على قدر محبته وإجلاله، وإذا خلا قلبه من الغيرة لله تعالى؛ فهو من المحبة أخلى، وإن زعم أنه من المحبين، فمن ادعى محبة محبوب من الناس، وهو يرى أنه تنتهك حرمته، ويُستهين بحقه، ويستخف بأمره، وهو لا يتحرك فيه ساكن، لا يغار لذلك، فهو كاذب في دعوة المحبة.

فكيف يصح لعبد أن يدعي محبة الله وهو لا يغار لمحارمه إذا انتُهكت، ولا لحقوقه إذا ضيعت، وهذه الغيرة هي الحاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا خلا القلب من الغيرة لله، وعلى الله فتراه لا يقوم بهذه الفريضة -فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر-.

1- جمع بائقة وهي الداهية.

2- سفسف عمله: لم يبالغ في إحكامه.

والعبد مع شفقته على العصاة، إلا أن هذا لا يمنعه من بغضه لتصرفاتهم التي تغضب ربه، ولو كانت من أقرب الناس إليه. **قال تعالى:** ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ **(سورة الممتحنة:4)**

الأدب الخامس عشر: عدم تجاوز حدود العبودية بالتحليل والتحريم:

قال تعالى:﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (سورة النحل:116)

قال السعدي–رحمه الله في تفسيره:" أي لا تحرموا وتحللوا من تلقاء أنفسكم، كذبًا وافتراءً على الله وتقولًا عليه ".

وقال تعالى:﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ (سورة الشورى:21)

وأخرج الترمذي من حديث عدي بن حاتم الطائي ﷺ قال: أتيتُ النَّبيَّ ﷺ وفي عنقي صليبٌ من ذَهبٍ، فقالَ:" يا عديُّ اطرح عنْكَ هذا الوثَنَ، وسمعتُهُ يقرأُ في سورةِ براءةٌ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، قالَ: أما إنَّهم لم يَكونوا يعبدونَهم ولَكنَّهم كانوا إذا أحلُّوا لَهم شيئًا استحلُّوهُ وإذا حرَّموا عليْهم شيئًا حرَّموه ". (صحيح الترمذي: 3095) (الصحيحة:3293)

الأدب السادس عشر: حفظ حدود الله تعالى وأوامَرَه ونواهيَه:

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي واللفظ له من حديث عبد الله بن عباس–رضي الله عنهما– قال: قال لي رسول الله ﷺ:" يا غُلامُ! إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظْكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسأَلِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ ". (صحيح الترمذي: 2516) (صحيح الجامع: 7957)

وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ لِعَبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ:" **يا غلامُ**"، والغُلامُ هو الصَّبيُّ الصَّغيرُ الَّذي لم يَبلُغِ الحُلُمَ بَعدُ،" **إنِّي أُعلِّمُك كَلِماتٍ**"، أي: أُعلِّمُك أُمورًا وأشياءَ يَنفَعُك اللهُ بها،" **احفَظِ اللهَ**"، أي: احْفَظْ حُدودَه وحُقوقَه وأوامَرَه ونواهيَه، فاتَّقِ اللهَ في أوامِرِه ونَواهيه بحيثُ يَجِدُك في الطَّاعاتِ والقُرباتِ، ولا يَجِدُك في المعاصي والآثامِ، ومِن أعظمِ ما يُحافَظُ عليه الصَّلاةُ والطَّهارةُ التي هي مِفتاحُ الصَّلاةِ، وحِفظُ الرأسِ وما وعَى وهو يَتضمَّنُ حِفظَ السَّمعِ والبَصرِ واللِّسانِ مِن المحرَّماتِ، وحفظُ البَطنِ وما حوَى، ويَتضمَّن حِفظَ القلبِ عن الإصرارِ على المحرَّماتِ، وكذلك مِنْ أعظمِ

ما يَنبغي حِفْظُه مِن نواهي الله عزَّ وجلَّ: الفَرْجُ وأنْ يُحفَظ ولا يُوضَعُ إلَّا في حلالٍ،" **يَحْفَظْك**"، أي: إذا اتَّقيتَه وحَفِظتَه كان جَزاؤُك أن يَصونَك مِن الشُّرورِ والموبِقاتِ ويَحفَظَك في نَفسِك وأهلِك ومالِك ودِينِك ودُنياك، ويَحفظَك مِن مكارِهِ الدُّنيا والآخِرَة؛ فحِفظُ اللهِ لعَبدِه نوعان؛ **أحَدُهما**: حِفظُه له في مَصالِحِ دُنياه، كحِفْظِه في بدَنِه وولَدِه، وأهلِه ومالِه؛ قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِن أَمْرِ اللَّهِ**﴾ (**الرعد: 11**)؛ فمَن حَفِظ اللهَ في صِباه وقوَّتِه، حَفِظه اللهُ في حالِ كِبَرِه وضَعْفِ قوَّتِه، ومتَّعه بسَمعِه وبصَرِه وحَوْلِه وقوَّتِه وعقلِه. **النَّوعُ الثَّاني**: حِفظُ اللهِ للعبدِ في دِينِه وإيمانِه، فيَحفَظُه في حَياتِه مِن الشُّبهاتِ المضلَّةِ، ومِن الشَّهَواتِ المحرَّمةِ، ويَحفَظُ عليه دِينَه عندَ موتِه، فيتوفَّاه على الإيمانِ، وعلى العكسِ من هذا؛ فمَن ضيَّع اللهَ ضيَّعه اللهُ، فضاع بينَ خلقِه، حتَّى يَدخُلَ عليه الضَّررُ والأذى ممَّن كان يَرْجو نفْعَه مِن أهلِه وغيرِهم." **احفَظِ اللهَ**"، أي: اتَّقِ اللهَ في الأوامِرِ والنَّواهي، والْزَمِ الطَّاعاتِ، ولا تَقرَبِ المعاصيَ،" **تَجِدْه تُجاهَك**"، والمعنى: أنَّك تَجِدُه حينَئذٍ كأنّه حاضرٌ تِلقاءَك وقُدَّامَك في مقام إحسانك وإيقانك وكمال إيمانك، كأنَّك تراه بحيثُ تُغْنَى بالكُلِّيَّةِ عن نظَرِك ما سِواه، وقيل: المعنى: إذا حَفِظْتَ طاعةَ اللهِ وجَدتَه يَحفَظُك ويَنصُرُك في مُهِمَّاتِك أينَما توجَّهتَ، ويُسهِّلُ لك الأمورَ الَّتي قصَدتَ، وقيل المعنى: تَجِدُ عِنايتَه ورَأفتَه قَريبًا منك؛ يُراعيك في جَميعِ الحالاتِ، ويُنقِذُك مِن جميعِ المضَرَّاتِ. (**الدرر السنية**)

الأدب السابع عشر: تدبر كلام الله تعالى:

فالبعض منا يقرأ القرآن ويكثر من قراءته، والغرض من ذلك هو أن يختم القرآن أكثر من ختمة، وهذا فيه خير كبير وأجره عظيم، ولكن تجده مع هذا لا يتدبر في آية من آيات المصحف، **وهذا مخالف لقول رب العالمين:**﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ **(سورة ص:29)**

فعلى العبد أن يقرأ العبد القرآن بالتّدبُّر والتّفهُّم لمعانيه وما أُريد به، كتدبُّر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهَّم مراد صاحبه منه.

قال عبد الله بن مسعود ﷺ:" لا تهذُّوا القرآن كهذِّ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، وقفوا عند عجائبه، وحرّكوا به القلوب ". (رواه البيهقي في" الشعب").

وقال الحسن بن علي–رضي الله عنهما–:" إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها بالنهار". (التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص:28)

وقال الإمام القرطبي–رحمه الله–: قال العلماء:" يجب على القارئ إحضار قلبه، والتفكر عند قراءته، لأنه يقرأ خطاب الله الذي خاطب به عباده، فمَن قرأ ولم يتفكر فيه– وهو من أهل أن يدركه بالتذكر والتفكر– كان كمن

لم يقرأه، ولم يصل إلى غرض القراءة من قراءته، فإن القرآن يشتمل على آيات مختلفة الحقوق، فإذا ترك التفكر والتدبر فيما يقرأه استوت الآيات كلها عنده، فلم يدع لواحدة منها حقها، فثبت أن التفكر شرط في القراءة، يتوصل به إلى إدراك أغراضه ومعانيه، وما يحتوي عليه من عجائبه". **(التذكار في أفضل الأذكار ص:195)**

وقال الحافظ جلال الدين السيوطي–رحمه الله– في "كتاب الإتقان في علوم القرآن":1/ 106":

" وتسن القراءة بالتدبر والتفهم، فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب....وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظه به، فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي ويعتقد قبول ذلك، فإن كان قصَّر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوَّذ، أو تنزيه نزَّه وعظَّم، أو دعاء تضرَّع وطلب ".اهـ

وقال محمد بن كعب القرظي–رحمه الله–:" مَن بلغه القرآن فكأنما كلَّمه الله، وإذا قدَّر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله، بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله، ويعمل بمقتضاه. **(إحياء علوم الدين:516/1)**

وذكر الغزالي–رحمه الله– عن بعض العلماء أنه قال:" هذا القرآن رسائل أتتنا من قِبل ربنا ﷻ بعهوده، نتدبَّرها في الصلوات، ونقف عليها في الخلوات، وننفذها في الطاعات والسنن المتَّبَعات ". **(المصدر السابق)**

وقال وهيب بن الورد–رحمه الله–:" نظرنا في هذه الأحاديث فلم نجد شيئًا أرق للقلوب، ولا أشد استجلابًا للحزن، من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره ".

وقال ابن القيم–رحمه الله– في كتابه الفوائد ص:9":" إذا أردت الانتفاع بالقرآن فأحضر قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به –سبحانه– إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ، **قال تعالى:** ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾**(سورة ق: 37)** وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفًا على مؤثِر مقتض، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه؛ تضمنت الآية بيانَ ذلك كله، بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المراد، **فقوله:** ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ**﴾ إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى هنا، وهذا هو المؤثر، **وقوله:** ﴿**لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ**﴾ فهذا هو المحل القابل، والمراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله، **كما قال تعالى:** ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ(69) لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا**﴾ **(يس: 69،70)** أي: حي القلب. وقوله: ﴿**وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾؛ أي: شاهد القلب، حاضر غير غائب.

وقال السعدي–رحمه الله– في تفسيره:" **وقوله تعالى:** ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ**﴾ أي: ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به أولو الألباب، جميع المطالب الدينية، فهو مشتمل عليها أتم اشتمال، وهو يذكر العقول، ما ركز الله في فطرها من الأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح. ﴿**وَقُرْآنٍ مُبِينٍ**﴾ أي: مبين لما يطلب بيانه. ولهذا

حذف المعمول، ليدل على أنه مبين لجميع الحق، بأدلته التفصيلية والإجمالية، والباطل وأدلة بطلانه، أنزله الله كذلك على رسوله. ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ أي: حي القلب واعيه، فهو الذي يزكو على هذا القرآن، وهو الذي يزداد من العلم منه والعمل، ويكون القرآن لقلبه بمنزلة المطر للأرض الطيبة الزاكية ". اهـ

فعلى الإنسان أن يحدد لنفسه وقتًا زمنيًا يقرأ فيه وردًا من القرآن، بغض النظر عن الكم الذي يقرأه، لكن عليه أن يتفكر ويتدبر فيما يقرأه، ولو لم يخرج من هذه الجلسة إلا بجزء بسيط من القرآن، وهذا أفضل وأنفع له. وكان السلف الصالح يؤكدون على أن تدبر القرآن وتفهمه – إلى جانب كونه مطلبًا دينيًا– فهو وسيلة تربوية ناجحة لشفاء القلوب من قسوتها، والأعين من جمودها.

الأدب الثامن عشر: عدم التألي على الله تعالى:

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (سورة الحجرات:1)

فمن الأدب مع الله تعالى: ألا تحلف عليه، أو تتقدم بين يديه، أو تقترح عليه، أو أن تحكم على الناس بجنة أو نار، فكل هذا غير جائز، ويتنافى مع الأدب مع الله تعالى.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث جندب بن عبد الله ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ:" أنَّ رَجُلًا قال: واللهِ لا يَغفِرُ اللهُ لفُلانٍ، وإنَّ اللهَ تَعالى قال: مَن ذا الذي يَتَأَلَّى عليَّ[1] أن لا أغفِرَ لفُلانٍ؛ فإنِّي قد غَفَرتُ لفُلانٍ، وأحبَطتُ عَمَلَك".

الأدب التاسع عشر: انكسار القلب بكلّيّته بين يدي الله تعالى:

وليس في التّعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات. والانكسار بمعنى الخشوع، وهو الذل والسكون.

وقد عرف أهل العلم الخشوع بأنه: هيئة في النفس يظهر منها على الجوارح سكون وتواضع نتيجة استقرار اليقين في القلب بلقاء الله تعالى.

والخشوع في الصلاة معناه: هو حضور الذهن فيما يقوله ويفعله المصلي ومعرفه حق من يقف أمامه ويناجيه مما يؤدي إلى تذلل القلب وخضوعه إقرارًا لهذا الحق ومن ثم اطمئنان الجوارح وسكينتها.

وقيل: هو لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره فإذا خشع القلب تتبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء.

ولذلك ثبت عن النبي ﷺ في صحيح مسلم أنه كان يقول في صلاته:" خَشَعَ لكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي، [وما استقلت به قدمي لله رب العالمين[1]] ".

1– مَن ذا الَّذي يَتَأَلَّى عَليَّ؟!: أي يَتحَكَّمُ عليَّ ويَحلِفُ باسمِي أنِّي لَا أَغفِرُ لفُلانٍ؟! وهذا الاستفهامُ يُرادُ به الإنكارُ والوعيدُ وبَيانٌ لعَظيمِ وقُدرتِه ورَحمتِه بالعِبادِ؛ فهو أعلَمُ بهم، وهو وحْدَه القادرُ عليهم.

يقول الراغب الأصفهاني–رحمه الله–:" الخشوع: الضراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب، ولذلك قيل إذا ضرع القلب: خشعت جوارحه ".

وقال ابن القيم–رحمه الله–:" الحق أن الخشوع معنى يلتئم من التعظيم والمحبة والذل والانكسار".

وإن كانت الألفاظ لا تسع التعبير عن حقيقة هذا المعنى الإيماني الرفيع؛ فإن من أعظم ما يتضمنه ذلك الانكسار خشوع القلب وخضوعه لخالقه ومولاه، بحيث يستشعر العبد ذلة العبودية أمام ربه وخالقه، فالخشوع على هذا المعنى ينبغي أن تكون حالة عامة؛ وتعرض خصوصًا للإنسان في أوقات قربه من الله تعالى. فالخشوع مطلوب من المرء في عامة أمره؛ لا في حال الصلاة فحسب، وإن كانت الصلاة موضعًا لظهور الخشوع، والعبد أقرب ما يكون إلى ربه فيها، فالخشوع روحها وأحسن آدابها، وهي مظنة حضوره واستدعائه، فالخشوع أثناء الصلاة لا ينفك عن خشوع القلب خارجها، أما أن يكون المرء غافلا طوال الأوقات، ويريد أن يكون خاشعًا في الصلوات فهيهات هيهات، **ولهذا قال تعالى**: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ **(سورة المؤمنون:1،2)**.

فهم قد حققوا الإيمان أولا، فخشعت لذلك قلوبهم ثانيًا، وظهر أثر ذلك في صلاتهم، وفي بقية صفاتهم المذكورة في الآيات، قال مجاهد:" الخاشعون هم المؤمنون حقا ". **(تفسير القرطبي:1/ ٣٧٥)**.

- وقد كان للسلف في الخشوع بين يدي الله أحوال عجيبة، تدل على ما كانت عليه قلوبهم من صفاء ونقاء.

قال ابن رجب–رحمه الله– في" كتابه الخشوع في الصلاة":" لو رأيت أحدهم وقد قام إلى صلاته فلما وقف في محرابه واستفتح كلام سيده خطر على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذي يقوم الناسُ فيه لرب العالمين فانخلع قلبه وذهل عقله ".

– **فها هو عبد الله بن الزبير–رضي الله عنهما–** كان إذا قام في الصلاة، كأنه عود من الخشوع، وكان يسجد فتنزل العصافير على ظهره، لا تحسبه إلا جذع شجرة.

– وكان يصلي في جوف الكعبة وهو محاصر بجيش عبد الملك بن مروان الذي يسدد ضرباته بالمنجنيق من جبل أبي قبيس للقضاء عليه وعلى أتباعه ومرت فلقة من حجر عظيم بين لحيته وحلقه فما زال رضي الله عنه عن مقامه ولا ظهر على صورته هم ولا اهتمام ولا قطع قراءته ولا ركع دون ما يركع حتى فرغ من صلاته.

– وقال ميمون بن مهران–رحمه الله–:" ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتا في صلاة قط، ولقد انهدمت ناحية من المسجد؛ ففزع أهل السوق لهدتها، وإنه لفي المسجد يصلي فما التفت، وكان أهل بيته إذا دخل المنزل سكتوا، فإذا قام إلى الصلاة تكلموا وضحكوا ". **(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص:٢٦)**.

1– ما بين القوسين أخرجها الإمام أحمد في "مسنده".

لقد كان هؤلاء يحيون صلاتهم؛ فتحيا قلوبهم بها، وتقر أعينهم فيها، وكيف لا تقر العيون بالصلاة الحية، ورسول الله يقول:"... **وجُعِلَت قُرَّةُ عَيني في الصَّلاةِ** ".

(رواه النسائي من حديث أنس بن مالك ﷺ وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي:٣٩٤٠)

قال ابن القيم–رحمه الله– كما في" مدارج السالكين:2/384:":" نهى النبي ﷺ المصلي أن يرفع بصره إلى السماء. فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية—رحمه الله– يقول: هذا من كمال أدب الصلاة؛ أن يقف العبد بين يدي ربه مطرقًا، خافضًا طرفه إلى الأرض، ولا يرفع بصره إلى فوق. قال: والجهمية لما لم يفقهوا هذا الأدب ولا عرفوه؛ ظنوا أن هذا دليل أن الله ليس فوق سماواته على عرشه، كما أخبر به عن نفسه واتفقت عليه رسله وجميع أهل السنة. قال: وهذا من جهلهم، بل هذا دليل لمن عقل عن الرسول ﷺ، على نقيض قولهم؛ إذ من الأدب مع الملوك: أن الواقف بين أيديهم يطرق إلى الأرض، ولا يرفع بصره إليهم، فما الظن بملك الملوك سبحانه؟!. **ومن الأدب مع الله:** في الوقوف بين يديه في الصلاة: وضع اليمنى على اليسرى حال قيام القراءة؛ ولا ريب أنه من أدب الوقوف بين يدي الملوك والعظماء، فعظيم العظماء أحق به. **ومنها:** السكون في الصلاة؛ وهو الدوام الذي قال الله تعالى فيه: ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾ **(المعارج:23)** فالدوام هو سكون الأطراف والطمأنينة. **وأدبه في استماع القراءة:** أن يُلقي السمع وهو شهيد. **وأدبه في الركوع:** أن يستوي، ويعظم الله تعالى؛ حتى لا يكون في قلبه شيء أعظم منه، ويتضاءل ويتصاغر في نفسه حتى يكون أقلَّ من الهباء ". اهـ

الأدب العشرون: مباعدة كلِّ سببٍ يحول بين القلب وبين الله عزّ وجلّ:

وأعظم سبب يحول بين القلب وبين الله تعالى هي الذنوب: فأنها تقسي القلب وتُميته إذا تكاثرت، **ففي الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه من حديث حذيفة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ** ".

قال الحسن البصري–رحمه الله–: وقوله تعالى: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ **(سورة المطففين: 14)**، قال: هو الذنب بعد الذنب حتى يموت القلب ". **(تفسير الطبري: جامع البيان:24/ 288)**

وقَالَ مُجَاهِدٌ–رحمه الله–: هُوَ الرَّجُلُ يُذْنِبُ الذَّنْبَ، فَيُحِيطُ الذَّنْبُ بِقَلْبِهِ، ثُمَّ يُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُحِيطُ الذَّنْبُ بِقَلْبِهِ، حَتَّى تُغْشِيَ الذُّنُوبُ قَلْبَهُ ". **(تفسير القرطبي:19/ 259)**

ولله درُّ ابن المبارك الإمام العالم لما يقول:

رأيتُ الذنوبَ تُميت القلوبَ وقد يورثُ الذلَّ إدمانُها

وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوبِ وخيرٌ لنفسك عِصيانُها

(البداية والنهاية:10/ 141)

أهكذا تفعل الذنوب بالقلب؟! نعم أخي الحبيب وأكثر من ذلك، ولك أن تعلم أن القلب هو المضغة التي إذا فسدت فسد سائر الجسد، **كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري من حديث النعمان بن بشيرﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ألَا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألَا إنَّ حِمَى اللَّهِ في أرْضِهِ مَحَارِمُهُ، ألَا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً: إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألَا وهي القَلْبُ ".**

فبصلاح القلب تنصلح هذه الجوارح، لذا ينبغي الاهتمام بالقلب أكثر من اهتمامنا بالجوارح، والقلب أيضًا محل نظر الرب.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ اللهَ تعالى لَا ينظرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأمْوالِكُمْ، ولكنْ إنَّما ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم ". (صحيح الجامع: 1862)

فلا نجاة للعبد يوم لقاء الله تعالى إلا أن يأتي بقلب سليم خالٍ من الشهوات والشبهات.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ(88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (سورة الشعراء: 88،89)

وكان النبي ﷺ يسأل الله في دعائه ويقول:" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وَقَلْبًا سَلِيمًا...".

رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن شَدَّاد بْن أَوْسٍ ﷺ) (السلسلة الصحيحة:3228)

الأدب الحادي والعشرون: ومن الأدب مع الله: ستر العورة:

فلقد سنّ رسول الله ﷺ بل وحضّ على ستر العورات حياء من الله، ومن الناس.

فقد أخرج الترمذي وأبو داود من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ الْقُشَيْرِيِّ ﷺقَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، قَالَ: إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَيَنَّهَا أَحَدٌ فَلَا يَرَيَنَّهَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا، قَالَ: اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ[1] مِنَ النَّاسِ".(صحيح الترمذي: 2794)

وقد حرص النبي ﷺ على الستر في الخلوة تأدبًا مع الله ﷻ واستحياءً منه- وهو على الندب والكمال وليس على ظاهره المفيد للوجوب.

وكذلك أرشد النبي ﷺ إلى الاستتار عند الاغتسال، وهذا من باب الأدب مع الله تعالى والحياء منه.

1- وقوله:" فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحَيَا مِنْهُ ": أَيْ : فَاستتر: يعني: مما أمر الله بالاستتار منه، طَاعَة لَهُ وَطَلَبًا لِمَا يُحِبّهُ مِنْك وَيُرْضِيه؛ وَلَيْسَ الْمُرَاد فَاسْتَتِرْ مِنْهُ؛ إِذْ لَا يُمْكِن الِاسْتِتَار مِنْهُ جَلَّ ذِكْرُهُ وَثَنَاؤُهُ .

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي من حديث يعلى بن أمية ﷺ أن رسولَ اللهِ ﷺ رأى رجلًا يَغْتَسِلُ بالبَرازِ[1] بلا إزَارٍ، فصَعِدَ المنبرَ، فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، وقال:" إن اللهَ –عزَّ وجلَّ– حليمٌ حييٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الحياءَ والسِتْرَ، فإذا اغتسَلَ أحدُكم فلْيَسْتَتِرْ ". (صحيح الجامع: 1756) (صحيح النسائي: 404)

– وفي رواية:" إنَّ اللَّهَ حييٌّ سِتِّيرٌ، يحبُّ الحياءَ والتَّستُّرَ، فإذا اغتسلَ أحدُكم فلْيَسْتَتِرْ ".

1– أدب الصديق ﷺ وحيائه من الله عند ذهابه لقضاء الحاجة:

خطب الصديق ﷺ في المسلمين فقال:" أيها الناس استحيوا من الله، فوالله ما خرجت لحاجة منذ بايعت رسول الله ﷺ أريد الغائط، إلا وأنا مقنع رأسي حياءً من الله تعالى". (مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص:20)

2– أدب عثمان ﷺ وحيائه من الله تعالى:

يقول الحسن البصري–رحمه الله–عن عثمان ﷺ:" إنه ليكون في البيت والباب عليه مغلق، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء يمنعه الحياء أن يقيم صلبه ".

3– أدب أبي موسى الأشعري ﷺ وحيائه من الله تعالى:

يقول أبو موسى الأشعري ﷺ:" إني لأغتسل في البيت المظلم، فما أقيم صلبي حتى آخذ ثوبي حياءً من ربي ﷻ".

وعن أنس ﷺ قال:"كان أبو موسى ﷺ إذا نام لبس ثيابًا عند النوم مخافة أن تنكشف عورته ".

ورأى أبو موسى الأشعري ﷺقومًا يقفون في الماء بغير أُزُر فقال:" لأن أموت ثم أنشر، ثم أموت ثم أنشر، ثم أموت ثم أنشر، أحبُّ إليّ من أن أفعل مثل هذا ".

1– بالبراز: أي بالخلاء.

4- أدب ابن عباس- رضي الله عنهما - وحيائه من الله تعالى:

يحكي عنه عكرمة-رحمه الله- فيقول: إنه لم يدخل الحمام إلا وحده وعليه ثوب صفيق وكان يقول: إني أستحيي الله أن يراني في الحمام متجردًا ".

وهنا أتوجه بالحديث إلى كل متبرجة خلعت حجابها، وعصت ربها وخرجت عارية، تُظهر مفاتنها[1]:

أختاه... النبي ﷺ يأمرنا بستر العورة في الخلوة تأدبًا مع الله تعالى وحياءً منه، وقد تأدب السلف الصالح بهذا الأدب- مع كونهم رجالًا، وفي الخلوة -، وأنتِ أيها الأخت المسلمة تتبرجي أمام أعين الناس ولا تخشين ولا تبالين بنظر الله لكِ. **كيف أنتِ**... عندما يسألك ربُّك يوم القيامة ويقول لكِ: أمتي لم جعلتني أهون الناظرين إليكِ؟

أختاه...اسمعي هذا الحديث وعيه جيدًا، وانظري أين أنت منه؟! **أخرج البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن جرَّ ثوبَهُ خيلاءَ لم ينظُرِ اللَّهُ إليهِ يومَ القيامةِ[2]، فقالَت أمُّ سَلمةَ: فَكيفَ يصنَعُ النِّساءُ بذيولِهِنَّ؟ قالَ: يُرخينَ شبرًا، فقالت: إذًا تنكشفَ أقدامُهُنَّ، قالَ: فيُرخينَهُ ذراعًا، لا يزِدنَ علَيهِ ". (صحيح الترمذي: 1731)**

يا سبحان الله... الرسول ﷺ يقول لأم سلمة يرخينه شبرًا، ولكنها تقول: إن النساء لا تطيق هذا؛ لأن أقدامهن ستنكشف عند المشي.

وانظري أختاه إلى هذه المرأة السوداء، امرأة من أهل الجنة ما حالها؟! تعالي لنرى قصتها:

أخرج البخاري ومسلم عن عطاء بن أبي رباح قال: قالَ لي ابنُ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما-: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِن أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلتُ: بَلَى، قالَ: هذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ[3]، أَتَتِ النبيَّ ﷺ، قالَتْ: إنِّي أُصْرَعُ وإنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قالَ: إنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وإنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ قالَتْ: أَصْبِرُ، قالَتْ: فإنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لا أَتَكَشَّفَ فَدَعَا لَهَا ".

1- للمؤلف رسالة بعنوان: أختاه هل تريدين الجنة؟ فارجع إليها فضلًا لا أمرًا.

2- لم ينظُرِ اللهُ إليهِ يومَ القِيامةِ: المقصودُ بالنظرِ هنا نظرٌ خاصٌّ، وهو نظرُ الرَّحمةِ.

3- امرأةً طَويلَةً سَوداءَ، قيل اسمُها: سعيرةُ الأَسديَّةُ، وقيل شقيرة، وكانتْ مُصابةً بِداءِ الصَّرَعِ، وهو مَرَضٌ في الجِهازِ العَصَبيِّ تَصحَبُه غَيبوبةٌ في العَضَلاتِ.

يا سبحان الله... تخاف أن يظهر شيء من جسدها وهي تعاني من مرض الصرع وهي معذورة، ولكنها حيية عفيفة أبية، فطلبت من النبي ﷺ أن يدعو الله ألا تتكشف، فهي تصبر على المرض وآلامه ولكنها لا تصبر على التكشف. فما بال اللاتي تكشفن عن أجسادهن بلا مرض ولا صرع؟!

أختاه... انظري إلى أدب وحياء الصديقة بنت الصديق –رضي الله عنهما–:

من الطبيعي إن المرأة المؤمنة بفطرتها النقية تستحي من أي رجل أجنبي، فما ظنك بمَن لا تستحي من الأحياء فحسب، بل تستحي من الأموات، إنها أُمُّنَا الطاهرة النقية التقية عائشة –رضي الله عنها– وهذا أدب وحياء يعجز القلم عن كتابته، كما يعجز اللسان عن وصفه.

فقد أخرج الإمام أحمد والحاكم عن أم المؤمنين عائشة–رضي الله عنها– قالت:" كنت أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول ﷺ وَأَبِي، فأضع ثوبي، وأقول: إنما هو زوجي وَأَبِي. فلما دفن عمر ﷺ معهم، فوالله ما دخلته إلا وأنا مَشْدُودَةٌ عليَّ ثيابي؛ حَيَاءً من عمر ﷺ".

أختاه... **يا من خلعتي حجابك ولم تستحي من ربك، ألستِ حفيدة خديجة وعائشة وفاطمة؟!! ألستِ من نساء المؤمنين؟!! إذًا فعليك أن تنصاعي لقول رب العالمين:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾** (سورة الأحزاب: 59)

أختاه... **هذه صرخة إنذار من أخ يرجو لكِ النجاة من النار. لا أرضى لكِ أن تكوني من الصنف الذي أخبر عنه النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" صِنْفانِ مِن أهْلِ النَّارِ لَمْ أرَهُما، قَوْمٌ معهُمْ سِياطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بها النَّاسَ، ونِساءٌ كاسِياتٌ عارِياتٌ[1] مُمِيلاتٌ[2] مائِلاتٌ[3]، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ[1]، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِن مَسِيرَةِ كَذا وكَذا ".**

1– نِساءٌ كاسِياتٌ: كاسياتٌ في الحَقيقةِ، عارياتٌ في المَعْنى؛ لأنَّهُنَّ يَلبَسْنَ ثِيابًا رِقاقًا تَصِفُ البَشَرةَ، أو يَستُرْنَ بعضَ بَدَنِهنَّ ويَكشِفْنَ بعضَهُ؛ إظْهارًا للجَمالِ. أو كاسياتٍ لِلثِّيابِ عارياتٍ مِن لباسِ التَّقوى.

2– مُمِيلاتٌ: قلوبَ الرِّجالِ إليهن، أوِ مُمِيلاتُ المَقانِعِ – والمِقنَعُ الَّذي تُغَطِّي به المَرأةُ رَأْسَها وظَهْرَها وصَدْرَها– عَن رُؤوسِهِنَّ؛ لِتَظْهَرَ وُجوهُهنَّ، وقيل: مُمِيلاتٌ بأكتافِهِنَّ فيَمْشِينَ مُتبختِراتٍ مُمِيلاتٍ لِأكتافِهِنَّ، وقيل: يُمِلْنَ غيرَهنَّ إلى فِعلِهِنَّ المذمومِ.

3– مَائِلاتٌ: والمَيلُ هو الانحرافُ والزَّيغُ، فهنَّ زائغاتٌ عن طاعةِ اللهِ تعالَى، وما يَلزَمُهنَّ مِن حِفظِ حُدودِه وحِفظِ فُروجِهِنَّ وغيرِ ذلك، وهنَّ أيضًا مائلاتٌ إلى الرِّجالِ بِقُلوبِهِنَّ أو بِقوالبِهِنَّ، أو مُتبختراتٌ في مَشْيِهِنَّ، أو زائغاتٌ عَنِ العَفافِ، أو مائلاتٌ إلى الفُجورِ والهوى، وقيلَ: مائلاتٌ يَمْتَشِطْنَ مِشطةَ البَغايا.

أختاه تذكَّري واعلمي...أنكِ ستموتين، وفي القبر ستدخلين، وعلى ربك تعرضين، يوم لا تخفى منكِ خافية، يوم ينادى على اسمك من بين الخلائق للحساب، أين فلانة بنت فلان؟! هلُمي إلى العرض، هلُمي إلى الله ﷻ فتثبين على قدميك ترتعد فرائصك، وتضطرب جوارحك، متغير لونك فزعة مرعوبة من الوقوف بين يدي الله الواحد القهار للسؤال والحساب، فبأي لسان تجيبيه حين يسألك عن قبيح فعلك وعظيم جرمك عندما كنت متبرجة؟! وبأي قدم تقفين غدًا بين يديه، وبأي نظر تنظرين إليه، وبأي قلب تتحملين كلامه العظيم الجليل ومساءلته إياك، يوم يقول لك: يا أمة الله: جسمك لماذا عريتيه؟ ولماذا لم تستريه؟ لماذا لم تتقي الله فيه؟ والشباب لماذا فتنتيه؟ أما أجللتيني؟ أما استحييت مني؟ ما حالك عندها يا أمَة الله؟ أين عدتك أيتها الغافلة؟ هل تنفع الأزياء والموديلات؟ وهل تنفع الأغاني والمسلسلات؟ فتأملي هذا اليوم، وكيف سيقف الناس في أرض المحشر خمسين ألف سنة حفاة عراة غرلًا، لا طعام ولا شراب ولا ظل، تدنو فوق رءوسهم الشمس قدر ميل، فهو أعظم يوم تنكشف فيه العورات، ويؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات.

أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة–رضي الله عنها– قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" يُحْشَرُ النَّاسُ يَومَ القِيامَةِ حُفاةً عُراةً غُرْلًا، قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ! النِّساءُ والرِّجالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ[2]! قالَ ﷺ: يا عائِشَةُ، الأمْرُ أشَدُّ مِن أنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ ".

فيا مَن أبيتِ إلا التعري ستقفين عارية يوم القيامة كيوم ولدتك أمك، ومع ذلك لا يأبه بك ولا يلتفت إليك إنسان. **واعلمي أختاه**... أن هذه الأعضاء التي تكشفيها ستشهد عليكِ يوم القيامة.

---

1 – رُؤوسُهنَّ كَأسنمةِ البُخْتِ المائلةِ: وهي جِمالٌ طِوالُ الأعناقِ، والأسْنمةُ جَمعُ سَنامٍ، وهي الجزءُ المرتفِعُ النَّاتئُ فوْقَ ظَهرِ الجَملِ، وكلَّما كان كَبيرًا وعاليًا كان أكثَرَ مَيلًا واهتزازًا عندَ الحركةِ، فهؤلاء النِّساءُ يُعظِّمْنَ حَجْمَ رُؤوسِهنَّ ويُكبِّرْنَها بِلفِّ عِصابةٍ ونحوِها، وقيلَ: يَطمَحْنَ إلى الرِّجالِ لا يَغضُضنَ مِن أبصارِهنَّ، ولا يُنكِّسْنَ رُؤوسَهنَّ، ومُرادُ التَّشبيهِ بأسْنمةِ البُختِ إنَّما هو لارتفاعِ الغَدائرِ أو الضَّفائرِ فوْقَ رُؤوسِهنَّ، وتَكسُّرِها بما يُضفِّرْنَه حتَّى تَميلَ إلى ناحيةٍ مِن نَواحي الرَّأسِ كما يَميلُ سَنامُ البعيرِ. (شرح النووي على صحيح مسلم باختصار)

2– عائشةُ –رَضيَ اللهُ عنها– ذلكَ قالتْ مُتسائلةً مُتعجِّبةً: يا رسولَ اللهِ! النِّساءُ والرِّجالُ جميعًا يَنظُرُ بعضُهم إلى بعضٍ؟!"، وهذا اسْتِفهامٌ واسْتِغرابٌ من أنْ يُجْمَعَ النَّاسُ عُراةً؛ فهل يَنظُرون إلى بعضِهم البَعضِ؟! فقال ﷺ:" يا عائشةُ، الأمرُ أَشَدُّ مِن أنْ يَنظُرَ بعضُهم إلى بعضٍ"، أيْ: إنَّ شأنَ المُوقِفِ والحَشْرِ بَعْدَ البَعْثِ مِن الموتِ فيه مِن الأهوالِ ما يَأخُذُ اهْتِمامَ النَّاسِ وأَبْصارَهم عن النَّظرِ إلى العَوْراتِ، ومِنْها ما قال اللهُ تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج: 2).

فهيا أختي أعلنيها مدوية: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (سورة طه:84) واعلمي أن الله غفور رحيم.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة الزمر: 53)

فهيا...هيا أقبلي على الله أيتها الأخت الفاضلة فإن الله تعالى يغفر الذنوب مهما كانت.

فقد أخرج الترمذي عن أنس بن مالك ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: قالَ اللَّهُ تبارَكَ وتعالى:" يا ابنَ آدمَ إنَّكَ ما دعوتَني ورجوتَني غفَرتُ لَكَ على ما كانَ فيكَ ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ لو بلغت ذنوبُكَ عَنانَ السَّماءِ[1] ثمَّ استغفرتَني غفرتُ لَكَ، ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ إنَّكَ لو أتيتَني بقرابِ الأرضِ[2] خطايا ثمَّ لقيتَني لا تشرِكُ بي شيئًا لأتيتُكَ بقرابِها مغفرةً ". (صحيح الترمذي: 3540)

الأدب الثاني والعشرون: الخوف من الله تعالى:

فمن سوء الأدب مع الله: عدم الخوف منه، لأن هذا يجرئ الإنسان على معصية الرحمن، ومن كمال الأدب مع الله: الخوف منه. وهذا سبيل للبعد عن المعاصي. **كما قال تعالى:** ﴿قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(15)مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (سورةالأنعام:15،16)

فالخوف من الله تعالى يحرق الشهوات المحرمة؛ فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهًا عند مَن يشتهيه إذا عرف أن فيه سُمًا، فتحرق الشهوات بالخوف، وتتأدب الجوارح، ويحصل في القلب الخضوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد، بل يصير الإنسان الخائف مستوعبًا خطر عاقبته، فلا يتفرغ لغيره، ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة، والضنة بالأنفاس واللحظات، ومؤاخذة النفس بالخطرات، والخطوات والكلمات، ويكون حالة حال مَن وقع في مخلب سبع ضار، لا يدري أنه يغفل عنه فيفلت، أو يهجم عليه فيهلك، فيكون بظاهره وباطنه مشغولًا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره، فهذا حال من غلبه الخوف. ولنعلم جميعًا أن من خاف من شيء هرب منه، ومن خاف من الله هرب إليه. والخوف من الله تعالى أصل كل خير.

يقول الفضيل بن عياض–رحمه الله–:" من خاف الله دله الخوف على كل خير".

وصدق الفضيل فالخوف هو الذي يسوق العباد الى خشية الله وتقواه والمسارعة إلى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه، واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه، فالخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات، فكم أيقظ الخوف من غافل التحف بلحاف شهوته، وكم من عاق لوالديه رده الخوف عن معصيته، وكم من فاجر

1– العنان: ما عَن منها – أي ظهر – والمقصود هو السحاب .

2– قراب الأرض: أي ما يقارب ملء الأرض.

في لهوه قد أيقظه الخوف من رقدته، وكم من عابد لله قد بكى من خشيته، وكم من منيب إلى الله قطع الخوف مهجته، وكم من مسافر إلى الله رافقه الخوف في رحلته، وكم من محب لله ارتوت الأرض من دمعته، فما أعظم الخوف من الله لمن عرف عظيم منزلته ومكانته.

وصدق حاتم الأصم–رحمه الله–حيث يقول: " لكل شيء زينة؛ وزينة العبادة الخوف ".

فالخوف سراج في القلب يحرق مواضع الشهوات فيه ويطرد الدنيا منه، فيتحرر من قيود الهوى لينطلق ويسكن تحت العرش، أما القلب الخالي من الخوف فهو قلب خرب عشعش فيه الشيطان، فلم يعد للإيمان فيه مكان، لأن هناك ارتباطًا وثيقًا بين الإيمان والخوف من الرحمن، فالخوف من الله لا يكون إلا من القلوب العامرة بالإيمان.

وقد ذكر البخاري–رحمه الله– في صحيحه باب: الخوف من الله.

قال الحافظ ابن حجر في" فتح الباري:11/313":" والخوف هو من المقامات العلية، وهو من لوازم الإيمان"

ومما يدلك على أن الخوف والإيمان متلازمان؛ قول الملك الديان: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ[1] قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ **(سورة الأنفال:2)**

" **إِنَّمَا**": أداة حصر وقصر تفيد التوكيد والتخصيص، أي أن المؤمنين دون غيرهم هم الذين يخافون الله.

فالخوف والإيمان متلازمان، إذا رفع أحدهما رفع الآخر.

وقال تعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ **(سورة التوبة:13)**

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ **(سورة آل عمران:173–175)**

قال المفسرون في هذه الآية: لا تصور انفكاك المؤمن عن خوف من الله تعالى، وإذا تجرد الإنسان من خوف من الله تعالى انسلخ من الإيمان، لذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف هذا الخوف، لذلك قال الحسن البصري –رحمه الله–:" ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق ".

وكلما ازداد العبد معرفة بالله تعالى؛ ازداد خوفه وإجلاله وتعظيمه لله:

- **وحيث أن الملائكة أشد الخلق معرفة بالله تعالى فهم أشدهم له خشية وإجلالا وتعظيما.**

قال تعالى عن الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ **(سورة النحل:50)**

وقال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ **(سورة الرعد:13)**

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ **(سورة سبأ:23)**

1– وجلت: أي خافت وخشيت من الله جل وعلا.

قال البخاري عند تفسير هذه الآية الكريمة في صحيحه: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو سمعت عكرمة سمعت أبا هريرة ﷺ يقول: إن نبي الله ﷺ قال:" إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير".

– وفي رواية:" إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة أو قال: رعدة شديدة خوفا من الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله ". (تفسير البغوي)

وأخرج الطبراني في" المعجم الأوسط" من حديث جابرﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَرَرْتُ ليلةَ أُسْرِيَ بي بالملأِ الأَعْلَى، وجبريلُ كالحِلْسِ[1] البالي من خشيةِ اللهِ تعالى ". (صحيح الجامع: 5864)

هذا هو خوف الملائكة من الله تعالى.

- **وقال تعالى عن الأنبياء: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ (سورة الأحزاب: 39)**

وحيث أن النبي ﷺ أعلم الناس بالله تعالى فهو أشدهم له خشية:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة–رضي الله عنها– قالت: صَنَعَ النَّبيُّ ﷺ شيئًا فرَخَّصَ فيه، فتَنَزَّهَ عنه قَومٌ، فبَلَغَ ذلك النَّبيَّ ﷺ، فخَطَبَ فحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ قال: ما بالُ أقوامٍ يَتَنَزَّهونَ عَنِ الشَّيءِ أصنَعُه؟! فواللهِ إنِّي لَأعلَمُهم باللهِ، وأشَدُّهم له خَشيةً ".

- **أما عن خوف الصحابة:** فلقد كان للصحابة الكرام الحظ الأوفر من الخوف من الله تعالى فهم الذين تربوا على يد الرسول ﷺ سيد الأولين والآخرين.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: خَطَبَ رَسولُ اللهِ ﷺ خُطبةً ما سَمِعتُ مِثلَها قَطُّ؛ قال: لو تَعلَمونَ ما أعلَمُ لَضَحِكتُم قَليلًا، ولَبَكَيتُم كَثيرًا، قال: فغَطَّى أصحابُ رَسولِ اللهِ ﷺ وُجوهَهم، لهم خَنينٌ[2] ".

1– الحلس: هو كِساءٌ يُبسَطُ ويُفرَشُ في أرضِ البَيتِ، وهو قُماشٌ رَقيقٌ يُوضَعُ على ظَهرِ البَعيرِ تَحتَ رَحْلِه الذي يكونُ على ظَهرِه؛ فشبَّه النَّبيُّ ﷺ جِبريلَ عليه السَّلامُ بالحِلْسِ برُؤْيَتِه لاصِقًا لِمَا تلبَّس به من خَشيَةِ اللهِ تعالى؛ فالسِّرُّ في هذا التَّشْبيهِ: بأنَّ الحِلسَ يُلصَقُ بالأرضِ، أو يُلصَقُ بظَهرِ البَعيرِ، فكذلك هذا الخَوفُ وهذه الخَشيَةُ من اللهِ سُبْحانَه وتَعالى لَصيقَةٌ بجِبريلَ عليه السَّلامُ تمامًا كلُصوقِ الحِلْسِ بالأرضِ، أو بظَهرِ البَعيرِ.

2– خَنِينٌ: أي صوتٌ مُرتفِعٌ مِن الأنفِ بالبُكاءِ مع غُنَّةٍ، وهو دونَ الانتِحابِ.

وفي الحَديثِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أعظمُ النَّاسِ خَشيةً لربِّه؛ لأنَّ خَشيةَ اللهِ إنَّما تكونُ على مِقدارِ العِلمِ بِه، ولما لم يَعلمْ أحدٌ كعِلمِ النَّبيِّ ﷺ، لم يَخشَ كخَشيتِه.

- **وقال تعالى عن العلماء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(سورة فاطر:28)**

قال السعدي–رحمه الله– في تفسيره:" وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله، الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته، كما قال تعالى: ﴿**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾". **(سورة التوبة:100)**

الأدب الثالث والعشرون: ألا يبارز المرءُ الله تعالى بالمعصية:

وهذا الأدب من ثمرة الأدب السابق– الخوف من الله– ومن المعروف أن الإنسان الكريم لا يقابل الإحسان بالإساءة، فإذا أحسن إليه شخص فلابد أن يقابل الإحسان بالإحسان؛ **كما قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾(سورة الرحمن:60)** والذي يفعل غير ذلك فهو اللئيم، وهو الذي يقابل الإحسان بالإساءة، هذا بالنسبة لإنسان مثلك. فما بالك من الرب الكريم، فلو رأيت نعم الله التي تنزل عليك تترًا ليلًا ونهارًا وكل لحظة وفي كل نفس، فلابد أن تستحي أن تقابل هذه النعم بالمعاصي، فإن فعلت فتكون نعم الله عليك نازلة وشرُّك إليه صاعد، ملك ينزل بالنعم وملك صاعد بالسيئات والمعاصي، تبارز بها رب العزة فأقبح بهذا من مقابلة.

يقول الجنيد–رحمه الله–:" الحياء رؤية الآلاء مع رؤية التقصير— ترى نعم الله بقلبك وترى تقصيرك في حق الله، فرؤية الآلاء مع رؤية التقصير، يتولد بينهما حالة الحياء (تتولد بسبب نعم الله وما أنت عليه من التقصير فهذه مقابلة غير منصفة فتتولد بينهما حالة تسمى الحياء) وهي حالة تدفع الإنسان إلى ترك القبيح وفعل المليح وعدم التقصير في حق الله.

يقول محمد بن علي الترمذي–رحمه الله–:" اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمُهُ عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه طرفة عين، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه ".

قال الحسن–رحمه الله–: مَن شاهد آلاء الله ونعمه الظاهرة والباطنة، حمله ذلك على الاستحياء من الله، وإلا فلا قلب حي لهذا العبد

قال أحدهم:

هب البعث لم تأتنا رسله وجاحمة النار لم تضرم

أليس من الواجب المستحق حياء العباد من المنعم

فقد أخرج الترمذي وأبو داود من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ الْقُشَيْرِيِّ ﷺقَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَوْرَاتُنَا مَا

نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، قَالَ: إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَيَنَّهَا أَحَدٌ فَلَا يَرَيَنَّهَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا، قَالَ: اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ[1] مِنْ النَّاسِ". (صحيح الترمذي: 2794)

فإذا حرص ﷺعلى الستر في الخلوة تأدبًا مع الله ﷻ واستحياءً منه- وهو على الندب والكمال وليس على ظاهره المفيد للوجوب- فكيف ينبغي أن يكون حياء الإنسان من الله تعالى إذا فقده حيث أمره، أو رآه حيث نهاه.

الأدب الرابع والعشرون: اتّبَاعُ النبي صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ **(سورة النساء:80)**

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ **(سورة آل عمران: 31)**.

فمن زعم حب الله تعالى ثم لم يتبع النبي ﷺ فليس صادقًا في دعواه المحبة، لأن من كان يحب الله تعالى فلابد أن يتبع النبي ﷺ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ-رَحِمَهُ اللَّهُ-:" هَذِهِ الْآيَةُ حَاكِمَةٌ عَلَى كُلِّ مَنِ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ، وَلَيْسَ هُوَ عَلَى الطَّرِيقَةِ المحَمَّدِيَّة؛ فَإِنَّهُ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ حَتَّى يَتَّبِعَ الشَّرْعَ المحَمَّدي والدين المحَمَّديّ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ". **قال الحسن البصري:** زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾. اهـ باختصار **(تفسير ابن كثير:358/1)**.

وقَالَ ابْنُ القَيِّم-رَحِمَهُ اللهُ-:" وقوله تعالى:﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ إِشَارَةٌ إِلَى دليل المحَبَّةِ وَثَمَرَتِهَا وَفَائِدَتِهَا؛ فدَلِيلُها وعلامتها اتباع الرَّسُول ﷺ، وفائدتها وثمرتها مَحَبَّة المرسِل لكم، فما لَمْ تَحْصُلِ المتابَعَة فَلَيْسَتْ مَحَبَّتكم له حَاصِلة، ومَحَبَّته لكم منتفية ". **(مدارج السالكين ص:٢٢٣)**.

قال القائل:

يَا مُدَّعِي حُـبَّ طَهَ لا تُخَالِفُـهُ الخُلْـفُ يحـرم في دُنْـيَا المحبينا

أَرَاكَ تَأْخُـذُ شَيْئًا مِـنْ شَرِيعَتِهِ وتَتْرُكُ البَعْضَ تَـدْوِيـنَا وَتَهْوِينـا

خُذْهَا جَمِيعًا تَجِدْ خَيْرًا تَفُوزُ بِهِ أَوْ فَاطْرَحْهَا، وَخُذْ رِجْسَ الشَّيَاطِينا

فاتّباع النبي ﷺ، هو مفتاح كل خير، وسبب الهداية، **قال تعالى:** ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ **(الأعراف: 158)**

1- وقوله:" فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحَيَا مِنْهُ ": أَيْ : فَاستتر: يعني: مما أمر الله بالاستتار منه، طَاعَة لَهُ وَطَلَبًا لِمَا يُحِبّهُ مِنْك وَيُرْضِيه؛ وَلَيْسَ الْمُرَاد فَاسْتَتِرْ مِنْهُ؛ إِذْ لَا يُمْكِن الِاسْتِتَار مِنْهُ جَلَّ ذِكْرُهُ وَثَنَاؤُهُ .

ونهى الله عن مخالفته فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (سورة النساء: 115)

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة النور:63)

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" كُلُّ أُمَّتِي[1] يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَى، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَن يَأْبَى؟ قالَ: مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أَبَى ".

الأدب الخامس والعشرون: الجدال في الله تعالى بغير علم:

والجدال منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم.

فالجدال المحمود: وهو كل جدال أيَّد الحق أو أوصل إليه بنيَّة صالحة خالصة وطريق صحيح.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل:125)

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (سورة العنكبوت:46)

والمجادلة بالتي هي أحسن هي التي تكون على علم وبصيرة، وبحسن خلق ولطف ورفق ولين، وحسن خطاب، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد الباطل وبيان قبحه، بأقرب طريق موصل إلى ذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق" اهـ (**انظر تفسير ابن كثير:592/2**)

الجدال المذموم: وهو كل جدال أيَّد الباطل، أو أوصل إليه، أو شغل عن ظهور الحق ووضوح الصَّواب، أو كان بغير علم وبصيرة، فهو ناشئ عن جهل، وسوء خلق، وتعَصُّب للرأي، والغرض منه الظهور والفخر، فصاحبه يتعصَّب لرأيه سواء كان على صواب أو خطأ. وإن ردَّ عليه بعض كلامه يغضب، ولا تهدأ نفسه حتى يتنازل مَن يناظره عن رأيه.

ومن الجدال المذموم: الجدال في الله تعالى بغير علم: وهو الخوض في صفات الله، أو ذاته، دون استناد إلى نصوص صحيحة. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (الحج: 8)

وقد نفت الآية الكريمة عن هذا المجادل، استناده إلى أي دليل أو ما يشبه الدليل، فهو يجادل في ذات الله تعالى وفي صفاته ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يستند إليه وبغير﴿هُدًى﴾ يهديه ويرشده إلى الحق وبغير ﴿كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ أي: وبغير وحي ينير عقله وقلبه، ويوضح له سبيل الرشاد. فأنت ترى أن الآية قد جردت هذا المجادل من أي مستند إليه في جداله سواء كان عقليًا أم نقليًا، بل أثبتت له الجهالة من جميع الجهات. (**التفسير الوسيط**)

1- المُرادُ بالأُمَّةِ في قَولِه ﷺ:" كُلُّ أُمَّتِي": أُمَّةُ الدَّعوةِ؛ وهي النَّاسُ كافَّةً، وعليه فالآبِي هو الكافِرُ بامتِناعِه عن قَبولِ الدَّعوةِ. وقيلَ: أُمَّةُ الإجابةِ؛ وهي التي آمَنَت بما جاءَ به وأقرَّت برِسالتِه، وعليه فالآبِي هو العاصي منهم، استَثناهم من دُخولِ الجَنَّةِ تَغليظًا وزَجرًا عنِ المَعاصي؛ فإن أُريدَ به عُصَاةُ المؤمِنينَ، فالمقصودُ استثناؤُهم من دُخولِ الجَنَّةِ من أوَّلِ وَهلةٍ، وإلَّا فمَآلُهُمُ الجَنَّةُ، كما هي عَقيدةُ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ، وإن أُريدَ به الكفَّارُ فهُم لن يَدخُلوا الجَنَّةَ أصلًا.

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾(سورة الحج:3،4)

واظهرت الآية الكريمة: أن من الناس قوم استولى عليهم الجهل والعناد، لأنهم يجادلون وينازعون في ذات الله وصفاته، وفي وحيه وفي أحكامه بغير مستند من علم عقلي أو نقلي، وبغير دليل أو ما يشبه الدليل. **(التفسير الوسيط)**

وجاء في تفسير الطبري: أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث[1]. ويعني بقوله: **﴿مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** أي من يخاصم في الله، فيزعم أن الله غير قادر على إحياء من قد بلي وصار ترابًا، بغير علم يعلمه، بل بجهل منه بما يقول. **﴿وَيَتَّبِعُ﴾** في قيله ذلك وجداله في الله بغير علم **﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾**. اهـ

الأدب السادس والعشرون عدم الإلحاد في أسماء الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ ﴾ (سورة الأعراف:180)

قال ابن القيم –رحمه الله–:" والإلحاد في أسماء الله لفظي ومعنوي ". اهـ

ونتعرَّض هنا للكلام عن الإلحاد في أسماء الله من جهة اللفظ، ومن ذلك قولهم:

– **عبد الخالِيء**... بدلاً من: **(عبد الخالق)**.

– **عبد الآدِرْ**... بدلاً من **(عبد القادر)**.

– **وكذا قولهم: ربنا آدر**... بدلاً من: **(ربنا قادر)**.

– **عبد الحأ**.... بدلاً من: **(عبد الحق)**.

وهذا غير جائز في حق الله تعالى وتحريف للكلام عن مواضعه، وهل تستطيع عند قراءة القرآن أن تقول: " **قل أعوذ برب الفلأ من شر ماخلأ**"؟!. فهذا لا يصح.

– **عبد الرَّزَّاء أو عبد الرَّزَّاج**... بدلاً من: **(عبد الرازق)**.

– **عبد اللَّا**... بدلاً من: **(عبد الله)**.

– **عبد العاطي**.... بدلاً من: **(عبد المعطي أو عبد الوهاب)**؛ لأن العاطي ليس من أسماء الله.

– **عبد العال**.... بدلاً من: **(عبد المتعال، أو عبد الأعلى، أو عبد العلي)**.

– **عبد الستَّار**... بدلاً من: **(عبد السِّتِير)**، لأن" **الستَّار**" ليس من أسماء الله الحسنى، **وهناك أيضاً مَن يقول:**" **يا ساتر**" **والساتر**: هو الحاجز والحاجب، ولا ينبغي أن يطلق هذا على الله، إنما نقول:" **السِّتِير**"

فقد أخرج أبو داود بسند حسن عن النبي ﷺ:" **إن الله ﷻ حيي سِتِّير يحبُّ الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**". **(صحيح الجامع:1756)**

1– كان النضر بن الحارث بن كلدة قد أخذ الطب والفلسفة مع أبيه في الحيرة.

– **"يا حنين يا رب"**... هذا الاسم لا يصح؛ لأنه تصغير لاسم:" **الحَنَّان**" وأسماء الله لا تُصغَّر، فضلاً عن أن اسم الحَنَّان مختلف فيه.

– **عبد الموجود**... والصواب: (**عبد الواجد**)، لأن الموجود ليس من أسماء الله تعالى.

– **عبد المِنْعِم**... والصواب: (**عبد المُنْعِم**)، لأن التعبيد يكون لأسماء الله لا لصفاته، والمنعِم ليس من أسماء الله، بل هي صفة من صفاته، ومن الخطأ كذلك قول البعض: عبد النعيم.

– **الله هو الجمال كله**... والصواب: (**الجميل**).

– **الله هو مهندس الكون**... والصواب: (**الله بديع السموات والأرض**).

– **هو العظمة كلها**... والصواب: (**العظيم**).

– **هو القوة العليا**... والصواب: (**القَوِي**).

– **تسمية الفلاسفة لله بـ" العلة الفاعلة"**... وهذا خطأ وإلحاد في أسماء الله.

– **تسمية النصارى لله باسم "الأب"**... وهذا خطأ وإلحاد في أسماء الله.

– **وكذلك قول البعض:" حُوش يا حواش"،" يا مُهوِّن هَوِّن"،" يا مغيث انصر"،" يا مُسَهِّل سَهِّل"**، وهذا كله لا يجوز؛ لأنه ليس من أسماء الله في شيء.

– **وكذلك قول البعض:" عب"** بدلاً من "**عبد**" **كقولهم: عبعزيز**... بدلاً من (**عبد العزيز**).

وقولهم: عباسط..... بدلاً من (**عبد الباسط**).

وجاء عند الطبري في تفسيره:282/13"، وعند القرطبي:2764/4":" أن من الإلحاد في أسماء الله النقص من حروفها ".

وهذه الأسماء:"**عباسط**" و "**عبعزيز**"، إدغام بغير سبب، فتقصر من اسم: "**الباسط**" و"**العزيز**" فيكون داخلاً في الإلحاد المحرم.

– **والتسمية بعبد الحارث**... وهو غير جائز.

جاء في "فتاوى العقيدة ص:36 ما نصه:" التَّسمِّي بـ"**عبد الحارث**" فيه نسبة العبودية لغير الله ﷻ، فإن الحارث هو الإنسان، **كما قال النبي** ﷺ:"**كلكم حارث وكلكم همام**". فإذا أضاف العبودية إلى المخلوق؛ كان هذا نوعاً من الشرك، لكنه لا يصل إلى درجة الشرك الأكبر، ولهذا لو سُمِّي رجل بهذا الاسم لوجب أن يغيره، فيضاف إلى اسم الله ﷻ، أو يُسَمَّى باسم آخر غير مضاف، **وقد ثبت عن النبي** ﷺ **أنه قال:**

" **أحبُّ الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن**". (**رواه مسلم**) وما اشتهر عند العامة **من قولهم**:" **خير الأسماء ما حُمِّد وما عُبِّد**"، ونسبتهم ذلك إلى رسول الله ﷺ فليس ذلك بصحيح، أي: ليس نسبته إلى النبي ﷺ صحيحة، فإنه لم يرد عن النبي ﷺ بهذا اللفظ، **وإنما ورد**:" **أحبُّ الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن**". **أما قول السائل في سؤاله**: مع أن الله هو الحارث فلا أعلم اسماً لله تعالى بهذا اللفظ، وإنما يوصف الله ﷻ بأنه الزارع ولا يُسمَّى به، **كما في قوله تعالى**: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ(63) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (**سورة الواقعة: 63،64**).اهـ

– **وكذلك التسمية بعبد النبي**... وهو غير جائز. **والصواب**: (**عبد رب النبي**).

– **والتسمية بعبد الرسول**... وهو غير جائز. **والصواب**: (**عبد رب الرسول**).

الأدب السابع والعشرون: ألا يحلف المرء بغير الله تعالى:

كقول البعض: **والنبي– والنِّعمة– والكعبة الشريفة– والعيش والملح– بالأمانة– وحياة عيالي– ورحمة أمي– وتربة جدي– وحياتي عندك– وشرفي...إلى آخره**. وهذا كله حلف بغير الله وهو من الشرك الأصغر؛ لأن هذا النوع من التعظيم لا يصلح إلا لله ﷻ.

قال العلماء:" السر في النهي عن الحلف بغير الله تعالى، أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به، والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده ".

لأن كل مَن يحلف بشيء فهو يحلف به ولسان حاله يقول:" إنني إذا كنت كاذباً فيما أقول، فالذي أحلف به يستطيع أن ينتقم مني– وهذا الأمر لا يكون إلا لله– وعليه فلا يجوز الحلف إلا به، فهو المعظم سبحانه.

– **فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر–رضي الله عنهما– قال**:" **إن النبي ﷺ أدرك عمر بن الخطاب ﷺ في ركب وهو يحلف بأبيه، فناداهم رسول الله ﷺ**:" **ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمَن كان حالفاً فليحلف بالله أو فليصمت**".

– **وفي رواية عند النسائي**:" **مِن كان حالفاً، فلا يحلف إلا بالله** ". (**صحيح النسائي**:**4681**)

– **وأخرج أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ**:" **لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد**[1]، **ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون** ". (**صحيح أبي داود**:**7249**)

1– **الأنداد**: كل ما سوى الله، وهناك مَن يحلف عند قبر أحد الأولياء، ويقول:" بحق هذا الغالي الطالب" فكل هذا من الشرك.

فليس الأمر محصوراً في عدم الحلف بالآباء ولا بالأمهات ولا بالأنداد، بل الأمر أعم من ذلك، **بدليل قوله ﷺ:" لا تحلفوا إلا بالله".**

– والحلف بغير الله شركٌ أصغر:

فقد أخرج أبو داود والترمذي وأحمد عن سعد بن عبيدة قال:" سمع ابن عمر–رضي الله عنهما– رجلاً يحلف:" لا والكعبة"، فقال له ابن عمر:" إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:" مَن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك ". (صحيح الجامع:6204)

وكان عبد الله بن مسعود ﷺ يقول:" لأن أحلف بالله كاذباً أحب من أن أحلف بغيره صادقاً ".

قال شيخ الإسلام–رحمه الله–:" وذلك لأن سيئة الشرك أعظم من سيئة الكبيرة ".

وجاء في" فتح الباري:11/540":" إن اعتقد في المحلوف به من التعظيم ما يعتقده في الله؛ كان بذلك الاعتقاد كافراً، **وعليه يتنزَّل الحديث:" مَن حلف بغير الله فقد كفر"**، أما إذا حلف بغير الله لاعتقاده تعظيم المحلوف به على ما يليق به من التعظيم، فهذا شرك أصغر؛ لأنه:" **مَن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك".**

تنبيه: كفارة الحلف بغير الله أن يقول:" لا إله إلا الله ".

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" مَن حلف منكم، فقال في حلفه: واللات والعزَّى، فليقل: لا إله إلا الله، ومَن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق بشيء ".

الأدب الثامن والعشرون: الإمساك عن كل كلام يوهم النقص في حق الله تعالى[1]:

1– كقول البعض: فلان ربنا افتكره.

وهذه الكلمة تقال عند الإخبار بموت أحد، ويلزم من هذه الكلمة وصف ربنا ﷻ بالنسيان وهي صفة نقص، وصفات النقص لا تجوز في حق الله تعالى: كالنوم، والتعب، واللغوب، والفقر، واتخاذ الصاحبة والولد، والنسيان، والإعياء، وعدم الكلام، وعدم السمع... وغير ذلك، وعليه... ينبغي أن يتنبَّه الناس لخطورة هذه الكلمة، **وهي تتنافى مع قوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾(سورة مريم:64)**

وقوله تعالى ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ (سورة طه:52)

وقد سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين–رحمه الله–كما في" المناهي اللفظية ص:149" عن قول الإنسان إذا سُئِل عن شخص قد توفَّاه الله قريباً، فقال: "فلان ربنا افتكره" يقصد بذلك "توفَّاه الله"، فهل هذه الإجابة صحيحة؟

1– ومن أراد المزيد من هذه الأقوال بشرحها، فهناك رسالتان للمؤلف بعنوان: الأخطاء اللفظية التي تخالف العقيدة، والدقائق اللفظية ضمن سلسلة:" آفات اللسان".

فأجاب فضيلة الشيخ–رحمه الله–:" إذا كان مراده بذلك أن الله تذكَّر ثم أمـــاته؛ فهذه كلمة كفر؛ لأنه يقتضي أن الله ﷻ ينسى، والله ﷻ لا ينسى، **كما قال موسى عليه السلام لما سأله فرعون:** ﴿**قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى(51) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى**﴾ **(سورة طه:51،52)** فإذا كان هذا هو قصد المجيب،

وكان يعلم ويدري معنى ما يقول فهذا كُفرٌ، أما إذا كان جاهلاً ولا يدري، ويريد بقوله: إن الله افتكره، يعني: أخذه فقط، فهذا لا يكفر، لكن يجب أن يطهِّر لسانه عن هذا الكلام؛ لأنه كلامٌ موهمٌ لنقص رب العالمين ﷻ، ويجيب بقوله: **توفَّاه الله**... ونحو ذلك ". اهـ

وقريبًا من هذا قولهم: افتكار ربنا رحمة: وهى كسابقتها، وفيها سوء أدب مع الله، وهي تقال عندما ينزل بأحدهم مرض، أو بلاء، أو مصيبة، وهذا لا يجوز؛ لأنه فيه وصف الله بالنسيان، وهل نسيه الله تعالى ثم افتكره بعد ذلك، حاشاه ﷻ عن هذا، وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

– وقول البعض: ربنا وقف معايا.

وهي عبارة يقولها الإنسان إذا أراد أن يعترف بفضل الله عليه، وهى عبارة خاطئة؛ لأنه أثبت لله صفة لم يثبتها الله ﷻ لنفسه ولم يثبتها له رسوله ﷺ، ألا وهي صفة الوقوف.

والصحيح أن يقول:" كان الله معي"، أو" أعانني الله"، أو" وفَّقني الله"... وهكذا.

– وقول البعض: ماشي على كف الرحمن.

ومع أن صفة الكف ثابتة لله تعالى في حديث صحيح عند الإمام مسلم، إلا أنه لا يجوز أن يقول أحدنا: أنا ماشي على كف الرحمن فهي كلمة خاطئة؛ لأنه جعل الأرض التي يمشي عليها هي كف الله ﷻ، وهذا التشبيه لا يجوز.

– وقول البعض: البقية في حياتك.

وهل يقصدون **بـ" البقية"** في هذه المقولة الفاسدة: الدعاء بموت بقية أقاربه في حياته؟ أم يقصدون **بـ" البقية"**:بقية من عمله، أم بقية من رزقه، أم بقية من أجله، **وهذا الأخير هو المقصود من قولهم.**

وهذه الكلمة لا تصح عند التعزية؛ لأن معناها أن هذا الميت مات قبل انتهاء أجله وبقيت بقية، فيدعون الله تعالى أن تنتقل هذه البقية إلى عمر مَن يعزّيه، وهذا كلام خطير واعتقاد باطل؛ لأنه اتهام لله ﷻ –تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيراً– فالإنسان لن يموت قبل أن يستكمل آخر لحظة من عمره.

قال تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ **(سورة الأعراف:34)**

وأخرج البيهقي في" الشعب" وأبو نعيم في" الحلية" من حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه قال:" إن روح القدس نفث في روعي، أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنَّ أحدَكم استبطاءُ الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا يُنال ما عنده إلا بطاعته".

(صحيح الجامع:2085)

ويتَّضح جلياً ممَّا سبق بطلان هذه الكلمة عند التعزية، وأفضل ما يقال في التعزية: إن لله ما أخذ، ولله ما أعطى، وكل شيء عنده إلى أجل مسمَّى، فلتصبر ولتحتسب.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد–رضي الله عنهما– قال:" أرسلت إحدى بنات النبي ﷺ تدعوه وتخبره أن صبياً لها أو ابناً أو ابنة قد احتضرت فاشهدنا، قال: فأرسل إليها يقرأها السلام، ويقول:" إن لله ما أخذ، ولله ما أعطى، وكل شيء عنده إلى أجلٍ مسمَّى، فلتصبر ولتحتسب".

قال الإمام النووي–رحمه الله– كما في "الأذكار ص:127":" هذا الحديث أحسن ما يُعزَّى به، **فقوله:" إن لله ما أخذ"** بمعنى: أن العالم كله ملك لله تعالى، فلم يأخذ ما هو ملك لكم، بل أخذ الشيء الذي هو له عندكم، يشبه ذلك العارية، بأن أخذت شيئاً من أحد ثم طلبه منك، فهل يحزنك هذا؟ **الجواب**: لا. فكذلك كل ما عندك هو عارية ملك لله تعالى. **وقوله:" وله ما أعطى"** أي ما وهبه لكم ليس خارجاً عن ملكه، بل هو له سبحانه، يفعل فيه ما يشاء، وكل شيء عنده بأجل مسمى فلا جزع ولا حزن، فمَن قُبِضَ فقد انتهى أجله المسمَّى، فيستحيل تقدُّمه أو تأخُّره عن أجله، فإذا علمتم ذلك فليس لكم إلا الصبر والاحتساب ".اهـ

وإن لم يعلم المُعَزِّى هذه الصيغة المأثورة عن النبي ﷺ أو لم يستحضرها، فليقل مثلاً:" البقاء لله"، أو" شِدْ حِيَلك[1]"، أو" أحسن الله عزاءك"، أو " جبر الله مصيبتك وغفر لميتك ".

– وقول البعض: اللهم يَسِّر ولا تُعسِّر.

والصحيح أن يقول: اللهم يَسِّر؛ لأن الله لا يُعسِّر أصلاً.

– وقول البعض: يا مستعجل عطَّلك الله.

وهو قول فيه إساءة بالغة لله ﷻ، فهو سبحانه لا يعطل أحداً، وفعله خير كله

والصحيح أن يُقال: يا مستعجل يسَّر الله أمرك؛ لأن الله ﷻ أكرم من أن يُعطِّل أحداً

1– والحيلة: الحول، أي القوة، ومعنى حيلك، أي: قَوّ عزمك أي: تَصَبَّرْ أو تجلَّدْ .

- وقول البعض: عيب خِلْقِي.

يقولون ذلك لمن وُلِد بزيادة أو نقص في أعضائه، وهذه الكلمة لا تجوز، **فقد قال تعالى:** ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾(سورة السجدة:7)، **وقال تعالى:** ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾(سورة النمل: 88) **وهو القائل ﷻ:** ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (سورة التين:4)

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح أن النبي ﷺ قال:" كلُّ خلقِ الله ﷻ حسنٌ". (الصحيحة:1441)

فكيف يكون ما أُحْسِنَ خَلْقُه وأُتْقِنَ صُنعُه وكان في أحسن تقويم أن يكون معيباً؟ فهذا لا يتفق أن يكون إتقان وعيب في شيء واحد... لا يمكن ذلك؛ لأنه سبحانه هو العليم الحكيم الخبير، **القائل سبحانه:**﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ(6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ(7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ﴾ (سورة الانفطار:6-8)

فهو سبحانه لا يُسْأَل عمَّا يفعل، فقد يكون هذا لحكمة يعلمها الله، وابتلاء لصاحب النقص أو العاهة لاختبار صبره؛ حتى يعوِّضه عن ذلك، تكفيرًا للسيئات، أو رفعًا للدرجات، أو تكثيرًا للحسنات.

فقد أخرج البخاري من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال:" إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر؛ عوَّضته منهما الجَنَّة ".

وعليه: فلا يجوز أن يقال:" عيب خِلْقِي" بل يحرم ذلك؛ لأنه عيب لخلق الله، **وإنما يقال:" مبتلى"، أو" به عاهة"**، وهذا وصف لحالة المبتلى، وليس فيه تعرض لفعل الخالق سبحانه.

تنبيه: إذا رأى الإنسان منا مبتلى؛ **فعليه أن يقول قول الشاكرين:" الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضَّلني على كثير ممَّن خلق تفضيلاً".**

فإن مَن فعل ذلك؛ عوفي من ذلك البلاء كائناً ما كان ما عاش.

- وقول البعض: خراب بيته على الله.

وهذه كلمة خاطئة، والصحيح أن الخير كله بيد الله تعالى، والشر ليس إليه، فهل يليق بجلال الله تعالى وعظمته أن ينسب الخراب إليه، تعالى الله عما يقول الجاهلون والظالمون علواً كبيراً. ولكن الخراب الذي يحدث لأحد – إن حدث– هو نتيجة لما قدَّم العبد وأساء.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (سورة آل عمران:182) (سورة الأنفال:51)

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾(سورة الشورى:30)

- وقول البعض: العصمة لله وحده.

وهى كلمة خاطئة، ومقصد القائل: هو تنزيه الله عن النقص والعيب، لكن هذه اللفظة مستنكرة وخاطئة؛ لأن المعصوم لابد له من عاصم، وهذا لا يجوز في حق الله فهو سبحانه الخالق، وما سواه مخلوق، فله الكمال المطلق.

إنما الصحيح أن تقول: العصمة لرسول الله ﷺ وللأنبياء من قبله.

- وقول البعض: سايق عليك ربنا، أو سايق عليك النبي.

وهذه الكلمة فيها سوء أدب مع الله تعالى، وسوء أدب مع رسوله ﷺ، فقائل هذه العبارة قد جعل الله مسُوقاً، أي جعله في موضوع العجز، وهذا لا يجوز في حق الله ﷻ.

- وقول البعض: الإنسان خليفة الله في أرضه.

هذه الكلمة لا يصح إطلاقها في حقه تعالى؛ لأن الخليفة هو مَن يخلُف غيره في غيبته، وهذا لا ينبغي في حق الله تعالى؛ لأنه حي لا يموت، قيوم لا يَكِل تدبير ملكه لغيره، وقد شاع هذا الخطأ بناء على الخطأ في فهم قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(**سورة البقرة:30**) وليس الأمر كما يظنُّه البعض أن الإنسان خليفة الله بنص هذه الآية، ولكن المراد منها: أنه خليفة لمن سبقه من الخلق، **حيث ذكر المفسرون:** "أن الأرض قد سكنها قبل الإنسان خلق آخرون"، **وقيل: إن المراد بالخليفة في الآية:** أن يخلف بعضهم بعضاً، **كما قال تعالى:**﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾(**سورة مريم:59**) فكل قرن يخلف الذي قبله.

تنبيه: إذا كان مقصد هذه الكلمة مَن استخلفه الله تعالى على العباد لتنفيذ أمره فلا بأس.

جاء في" فتاوى العقيدة ص:757" ما نصه:" إذا كانت هذه الكلمة صدقاً، بأن كان هذا الرجل خليفة يعني "ذا سلطان تام على البلد"، وهو ذو السلطة العليا على أهل هذا البلد، فإن هذا لا بأس به، **ومعنى قولنا:" خليفة الله"** أن الله تعالى استخلفه على العباد في تنفيذ شرعه؛ لأن الله تعالى استخلفه على الأرض، والله ﷻ مستخلفنا في الأرض جميعاً وناظر ما كنا نعمل، وليس يراد بهذه الكلمة أن الله تعالى يحتاج إلى أحد يخلفه في خلقه أو يعينه على تدبير شئونهم، ولكن الله جعله خليفة يخلف مَن سبقه، ويقوم بأعباء ما كلفه الله ". اهـ

- وقول البعض: ربنا خالقه كمالة عدد أو ربنا خلقه بعد ما استكفى.

وهذا كلام ساقط، فالله ﷻ لا يخلق شيئاً عبثاً، بل يخلقه ﷻ لغاية وحكمة، **قال تعالى:**﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (**سورة المؤمنون:115**)

- التَّسمِّي بـ " قاضي القضاة".

جاء في" المناهي اللفظية ص:60" ما نصه:" قد يكون هناك إنسان يعمل قاضياً، ويضرب به المثل في العدل، فيطلق الناس عليه كلمة: **"قاضي القضاة"** وهذا لا يجوز بهذه الصفة؛ لأن **"قاضي القضاة"** بهذا المعنى الشامل العام لا يصلح إلا لله ﷻ، فمَن تسمَّى بذلك فقد جعل نفسه شريكاً لله ﷻ فيما لا يستحق إلا لله ﷻ وهو القاضي فوق كل قاضٍ، والحَكَمُ وإليه يرجع الحكم كله، وإن قُيِّد بزمان أو مكان فهذا جائز، لكن الأفضل أن لا يفعل؛ لأنه قد يؤدي إلى الإعجاب بالنفس والغرور حتى لا يقبل الحق إذا خالف قوله، وإنما جاز هذا لأن قضاء الله لا يتقيد، فلا يكون فيه مشاركة لله ﷻ، وذلك مثل:" **قاضي قضاة العراق" أو "قاضي قضاة الشام"، أو "قاضي قضاة عصره".**

-: التَّسمِّي باسم "ملك الأملاك، أو ملك الملوك".

وهذا لا يجوز أن يَتَسَمَّى الإنسان به.

فقد أخرج البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال:" إن أخنع اسم عند الله تعالى: رجل تَسَمَّى ملك الأملاك؛ لا مالك إلا الله".

أخنع اسم: يعني أوضعه، يعني: أوضع اسم عند الله هذا الرجل الذي تَسَمَّى – إما بتسمية نفسه أو برضاه بهذه التسمية – **"ملك الأملاك"** مَن الذي يستحق هذا الوصف ملك الأملاك؟ لا يستحقه إلا الله، ومن تَسَمَّى **"ملك الأملاك"** فإن هذا أخنع اسم عند الله يصفه الله حيث رفع نفسه. **(المناهي اللفظية ص:60)**

- وقول البعض: ربنا عارف.

وهذه الكلمة لا تجوز في حق الله تعالى؛ لأن المعرفة هي إدراك الشيء على ما هو عليه، ولابد أن يسبقها جهل، وهذا محال في حق الله تعالى. **والصواب أن نقول:" الله يعلم أو الله عالم"**؛ لأنه سبحانه يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، **وهو القائل سبحانه:** ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾**(سورة النحل:19)، وقال تعالى:**﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾**(سورة الملك:13)**

يقول فضيلة الشيخ ابن عثيمين–رحمه الله– كما في" شرحه على حلية طالب العلم:206":" إن من المشهور عند أهل السنة أن الله تعالى لا يوصف بأنه عارف، فيقال: "عالم، ولا يقال عارف، وفرق بين العلم والمعرفة، فالمعرفة تكون للعلم اليقيني وللظن، وأنها– أي المعرفة– انكشاف بعد خفاء، وأما العلم فليس كذلك

- وقول البعض: ربنا عاوز.

وهذه الكلمة لا تجوز أيضاً في حق الله ﷻ؛ وذلك لأن العوز يعني الحاجة – وحاشا لله تعالى أن يحتاج لأحد من خلقه، **قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ **(سورة فاطر:15)**

والصواب أن نقول: "الله يريد"، فقد قال تعالى عن نفسه: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (سورة البروج:16)

- وقول البعض: لو نزل ربنا من السماء ما فعلت كذا.

وهذه الكلمة تدل على التهاون بقدر الله ذي الجلال خالق الخلق، وعندما أود أن أُبيّن لك عظمة الخالق لا أتكلم عنه ﷻ؛ لأنه لا يستطيع لسان أن يصفه أو عقل يتخيله؛ لأن كل ما دار بخيالك فالله بخلاف ذلك، لكن أُحدِّثَك عن خلقٍ من خلقه لتعلم عظمة الخالق.

فقد أخرج أبو الشيخ أن النبي ﷺ قال:" أُذِن لي أن أُحدِّثَكم عن ديك مرقت قدماه في الأرض، ورأسه مثنية تحت العرش، يقول: سبحانك ما أعظمك، فيقول رب العزة: لا يعلم ذلك مَن يحلف بي كاذباً".

وأخرج أبو داود من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أُذِن لي أن أُحَدِّث عن ملكٍ من ملائكة الله تعالى حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة بخفق الطير".

– وفي رواية عند الطبراني:" ما بين شُحْمة أُذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام".

فأين هؤلاء الذين لا يُعظِّمون الله تعالى؛ فيتكلمون بمثل هذا الكلام، **وصدق ربنا حيث قال:﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (سورة الزمر:67)**

- وقول البعض: ربنا في كل مكان.

وهذه الكلمة لا تصح على إطلاقها، فإذا كان مقصود قائلها: إنه في كل مكان بذاته، فهذا لا يصح، وهذا كلام أهل الحلول والاتحاد كابن عربي وأتباعه، والذي حكم العلماء بتضليلهم بل وتكفيرهم.

والصحيح والذي عليه أئمة السلف:" أن الله تعالى مستوٍ على عرشه فوق سبع سموات".

كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾(سورة طه:5)، وكما قال تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ (سورة الملك:16)

وكذلك قال النبي ﷺ كما عند البخاري ومسلم:" ألا تأمنوني وأنا أمين مَن في السماء".

وكذلك إقرار النبي ﷺ الجارية عندما سألها أين الله؟ فقالت:" في السماء" والحديث في صحيح مسلم، فقد أخرج الإمام مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ قال:" كانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أُحُد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم: آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي، قلت: يا رسول الله. أفلا أعتقها؟ قال: ائتني بها، فأتيته بها، فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: مَن أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة".

وقال الشيخ ابن عثيمين–رحمه الله– كما في "المناهي اللفظية ص:29": " وأما مَن قال:" إن الله في كل مكان

وأراد بذاته فهذا كفر؛ لأنه تكذيب لما دلَّت عليه النصوص، بل الأدلة السمعية والعقلية والفطرية من أن الله تعالى عالٍ على كل شيء، وأنه فوق السموات مستوٍ على عرشه".

الخلاصة: أن مَن أراد بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**(سورة الحديد:4)** أن الله تعالى معنا بذاته فهذا لا يجوز، أما إذا كان مقصده: أن الله تعالى في كل مكان بعلمه وقدرته وسمعه وبصره وحوله وقوته وإحاطته، فهذا كلام صحيح.

- وقول البعض: ربنا موجود.

وهذه العبارة على إطلاقها لاتجوز، فمن المعلوم أنه ما من مخلوق في الكون كله إلا وله خالق، فالله هو الخالق وكل ما في الكون مخلوق، وما من موجود إلا وله واجد، فالله ﷻ هو الواجد وكل ما في الكون موجود، **ولذلك لا يصح أن نقول:" ربنا موجود"** على سبيل الاسم أو الصفة، أما على سبيل إثبات حقيقة الوجود فيجوز أن نقول ذلك لبيان أنه ليس بعدم.

- سَبُّ الزمان كقولهم: زمن غدار- زمن أسود - يوم أسود- يا خيبة الزمن الذي رأيتك فيه- أنت والزمن عليَّ- جار عليه الزمان.

وسب الزمان والقدح فيه حرام لا يجوز؛ لأن ما حصل في الزمن فهو من تقدير الله ﷻ، فمَن سبَّه فقد سبَّ الله تعالى.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى:" يؤذيني[1]ابن آدم؛ يسبّ الدهر وأنا الدهر[2] أُقلِّب الليل والنهار[3]".

وفي رواية:" لا تسبُّوا الدهر فإن الله هو الدهر".

وفي رواية:" يسبّ ابن آدم الدهر، وأنا الدهر، بيدي الليل والنهار".

قال الحافظ المنذري -رحمه الله- كما في" الترغيب والترهيب:3/482":" ومعنى الحديث: أن العرب كانت إذا أنزلت بأحدهم نازلة، وأصابته مصيبة أو مكروه يسب الدهر، اعتقاداً منه أن الذي أصابه فعل الدهر، كما كانت

1- يؤذيني: أي يقول في حقي ما أكرهه، وينسب إليَّ ما لا يليق بجلالي، يقول الطيبي -رحمه الله-: "والإيذاء: إيصال مكروه إلى الغير وإن لم يؤثر فيه، وإيذاؤه تعالى عبارة عن فعل ما لا يرضاه".

2- وأنا الدهر: أي فاعل كل شيء في الدهر.

3- أُقلِّب الليل والنهار: أي أخرجهما وأوجدهما على هذا النظام البديع.

العرب تستمطر بالأنواء وتقول: **"مطرنا بنوء كذا"** اعتقاداً أن فعل ذلك فعل الأنواء، فكان هذا كاللعن للفاعل، ولا فاعل لكل شيء إلا الله تعالى، خالق كل شيء وفعله، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك". اهـ بتصرف

ويقول الإمام النووي–رحمه الله– في "شرحه على صحيح مسلم:5/8":" وقول النبي ﷺ:" لا تسبُّوا الدهر، فإن الله هو الدهر" أي لا تسبُّوا فاعل النوازل، فإنكم إذا سببتم فاعلها؛ وقع السب على الله تعالى لأنه هو فاعلها ومنزِّلها، أما الدهر الذي هو الزمان فلا فعل له، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى، ومعنى: **"فإن الله هو الدهر"** أي فاعل النوازل والحوادث وخالق الكائنات، والله أعلم ".

ويقول الخطابي –رحمه الله–:"ومعنى حديث:" **يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر**" أي: أنا صاحب الدهر ومُدبِّر الأمور التي ينسبونها إلى الدهر، فمَن سبَّ الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور؛ عاد سبُّه إلى ربه الذي هو فاعلها، وإنما الدهر زمان جعل ظرفاً لمواقع الأمور، وكانت عادة العرب إذا أصابهم مكروه أضافوه إلى الدهر، فقالوا: بؤساً للدهر، وتباً للدهر". اهـ

فعلى الإنسان ألا يُلقي التبعة واللوم على الدهر والزمان الذي لا يملك من أمره شيئاً.

ولله در الشافعي حيث قال–رحمه الله–:

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزمانِنا عيبٌ سِوانا

وقد نهجُو الزمانَ بغير جُرْمٍ ولو نطق الزمانُ بنا هجانا

– وقول البعض: الجو وحش– زي الزفت– أيه الحرّ ده– دي حاجة تزَهَّأ.

ويقولون هذا الكلام ويقصدون أن حالة الجو غير مناسبة، أو لا تعجبهم، ومن المعلوم أن الريح والغيم والمطر والحر والبرد آيات من آيات الله ﷻ، وهي مسخرة بأمره ﷻ يصرفها كيف يشاء،

قال تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة البقرة:164)

وهذه الآيات منها ما يكون عذاباً، **كما قال تعالى:** ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **(سورة الأحقاف:24)**

ومنها ما يكون رحمة ورزقاً، **كما قال تعالى:** ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقاً ﴾**(سورة غافر:13)**

ولهذا كان النبي ﷺ إذا هبَّت ريح يقول: "اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أُرْسِلت به، وأعوذ بك من شرِّها وشر ما فيها وشر ما أُرْسِلت به". (رواه الترمذي بسند حسن عن ابن عباس–رضي الله عنهما–)

ونهى النبي ﷺ عن سب أو لعن الريح لأنها مأمورة:

فقد أخرج الترمذي عن أبي بن كعب ﷺ أن النبي ﷺ قال:" لا تسبوا الريح– وفي رواية:" لا تلعنها فإنها مأمورة ".

وقد نقل النووي–رحمه الله– في كتابه" الأذكار" قول الشافعي–رحمه الله–:" لا ينبغي لأحد أن يسبَّ الريح؛ فإنها خلق لله تعالى مطيع، وجند من أجناده، يجعلها رحمة أو نقمة إذا شاء ".

– وقال الشيخ بكر أبو زيد في معجم "المناهي اللفظية" نقلاً عن ابن القيم–رحمه الله– حيث قال:" وقد كان السلف يحاسبُ أحدُهم نفسَه في قوله: "يوم حار، ويوم بارد".

ثم قال الشيخ بكر–رحمه الله–:" وقد أصبح من المعتاد لدى الناس تَتَبُّع تقلُّبات الجو، ومقياس درجاته حرارةً وبرودةً، وما أكثر لَهَجِهم بذلك وإتْبَاعه بالتأفُّف والتألُّم من شدة الحر وشدة البرد ". اهـ

يرغبُ المرءُ في الصيفِ الشتاءَ فـإذا جـاءَ الشتاءُ أنكَـرَه

إنه لا يَرْضَى بحـالٍ أبـداً قُتِـلَ الإنسانُ مـا أكفَـرَه

فالصحيح: أن يُنزِّه الإنسانُ نفسَه عن مثل هذه الأقوال:" **الجو وحش**"، **أو**" **زي الزفت**"؛ لأن فيها اعتراضًا على أمر الله، وليس للإنسان إلا الرضا والتسليم بما قضى الله وأمر به.

وقد ذكر ابن القيم–رحمه الله– في" كتابه الداء والدواء ص:280":" أن بعض الأكابر من أهل العلم رُئِيَ في المنام، فسُئِلَ عن حاله؟ فقال: "أنا موقوف على كلمة قلتها، قلت: ما أحوج الناس إلى غيث، فقيل لي: وما يدريك؟ أنا أعلم بمصلحة عبادي ".

– وقول البعض: إن الله على ما يشاء قدير.

يقول الشيخ ابن عثيمين–رحمه الله–:" ولا يجوز هذا الكلام إلا مقيداً، لأنك إذا قلت:" **إنه على ما يشاء قدير**" أوهم أن ما لا يشاء لا يقدر عليه، والله ﷻ قادر على الذي يشاء والذي لا يشاء، لكن إذا قيدت المشيئة بشيء معين صحَّ، **كقوله:**﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ **(سورة الشورى:29)**، أي: إذا يشاء جمعهم فهو قادر عليه، **وكذلك في قصة الرجل الذي أدخله الله الجَنَّة آخر ما كان فقال الله له:" إني على ما أشاء قادر**". **(رواه مسلم)**؛ لأنه يتعلق بفعل معين. **(الشرح الممتع:407/5)**

وهناك أيضًا من الأمثال الشعبية التي فيها اتهام لله تعالى بالنقص، أو عدم الحكمة أو المعرفة- تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا-، ومن هذه الأمثلة على سبيل المثال:

يدِّي الحلق للي بِلا ودان- رِزق الهبل على المجانين- ابكي على الزمان اللي عمل القصير شمعدان- لو شفت الأعمى كُل عشاه، هو أنت أحن من اللِّي عماه- إن كان الدُّعا بِيْجُوز ما خلَّى صبي ولا عجوز- مَن كثرت أولاده قل زاده- كل همّ في البلد بيجي عندي ويتسند- سبع صنايع والبخت ضايع، ويقال: سبع صنايع في إيديه والهم جاير عليه- الفئير (الفقير) لا يتهادى ولا يدَّادَى ولا تئوم (ولا تقوم) له في الشرع شهادة... وغير ذلك من الأمثال الباطلة الفاسدة[1].

الأدب التاسع والعشرون: الأدب مع الله تعالى أثناء الإعراب:

بعض علماء اللغة والنحو عدلوا عن المشهور من" مصطلح الإعراب" أدبًا مع الله عز وجل ومع كتابه، ومن ذلك إعرابهم:

أ- **في قوله تعالى:** ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ **(سورة الأنبياء:37)**، خُلِق: فعل ماضٍ مبنيٌّ لما لم يُسَمَّ فاعِلُه، بدلًا من إعرابه:" مبني للمجهُول".

- وقول البعض:" تُوُفِّي[2] فلان"، تُوُفِّي: بضم التاء وكسر الفاء، فعل ماضٍ مبنيٌّ لما لم يُسَمَّ فاعِلُه، بدلًا من إعرابه:" مبني للمجهُول".

ب- **وفي قوله تعالى:**﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾**(سورة البقرة:189)** وقول أحدهم: (أستغفر اللهَ) (سألتُ اللهَ): اسم الجلالة: منصوبٌ على التعظيم بدلًا من" مفعول به".

جـ- **وفي قوله تعالى:**﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ **(سورة الفاتحة:6)** ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ **(سورة الأعراف:151)**: اهْدِنا- اغْفِر: فعل طلب دُعاء بدلًا من" فِعل أمر".

د- **وفي قوله تعالى:**﴿ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ **(سورة الزخرف:77)**: اللام: للدعاء بدلًا من" لام الأمر".

هـ- ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ **(سورة البقرة:286)**: (لا): حرف دعاء بدلًا من" لا الناهية ".

و- وكلمة:" **عسى**" من الله تعالى: تُفيد التحقيق بدلًا من" عسى للترجي ".

1- ومن أراد المزيد من هذه الأمثال بشرحها، فهناك رسالة للمؤلف بعنوان: الأخطاء اللفظية في الأمثال الشعبية ضمن سلسلة:" آفات اللسان".

2- تُوُفِّي: الأصل أنها تُعرب:" مبني للمجهول"، وهذا لا يجوز؛ لأنه في مثل هذه الحالة نقول: وهل الله مجهول حتى لا يُعْلَم مَن الذي توفَّاه؟ فالأولى أن يستبدل كلمة: مبنى للمجهول بكلمة:" لِما لم يُسَمَّ فاعِلُه ".

ز- **وفي قوله تعالى**:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ **(سورة الشورى:11)**: الكافُ: صلةٌ أو حرف توكيدٍ بدل "حرف زائد"؛ تَّورعوا عن إعراب حرفٍ من القرآن بـ " حرف زائد". **قال ابن هشام-رحمه الله-**:" وينبغي أن يجتنِبَ المعْرِبُ أن يقول في حرفٍ في كتاب الله تعالى: "إنه زائد"؛ لأنه يسبق إلى الأذهان أنَّ الزائدَ هو الذي لا معنى له، وكلامُه سبحانه مُنزَّهٌ عن ذلك.

- ومنع أهل اللغة تصغير أسماء الله عز وجل وصفاته الحسنى: **وقد نقل الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في الفتح:" لا يجوز تصغير اسم الله إجماعًا "**.

وسلك مَسْلك الأدب مع الله وتوقيره في الإعراب: ابن مالك، وابن هشام، والطبري والآثاري، والأزهري، وغيرهم.

اللهُمَّ عَلِّمنا وفقِّهْنا وارزقنا حُسْنَ الأدب مع جلالك وعظمتك، ومع كتابك ورسولك محمد.

(الأدب مع الله أثناء الإعراب: محمد مكاوي)

الأدب الثلاثون: ألا ينسب لله تعالى إلا كل جميل:

الله تبارك وتعالى خالق كل شيء، خالق الخير والشر؛ **قَالَ تَعَالَى**: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾**(سورة الزمر:62)**، ومع ذلك من الأدب عدم نسبة الشر إليه تعالى تأدبًا.

وتأملْ قَولَه تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾**(سورة النساء: 79)**، لتدرك ما ينبغي أن يكون عليه أهل الإيمان من الأدب مع الله تعالى.

وأعظم الناس أدبًا مع الله تعالى: الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة السلام[1]-:

يقول ابن القيم-رحمه الله-:" وتأمَّل أحوال الرُّسُل صلوات الله وسلامه عليهم مع الله، وخطابهم وسؤالهم تجدها مشحونة بالأدب ".

1- آدم عليه السلام:

قال آدم-عليه السلام-: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**(سورة الأعراف:23) ولم يقل**:" ربِّ قدرتَ عليَّ، وقضيتَ عليَّ".

2- الخليل إبراهيم عليه السلام:

فهذا إبراهيم -عليه السلام-، **يقول عن الله تعالى**: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ(78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ(79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ **(سورة الشعراء: 78 -80). ولم يقُلْ**: "وإذا أمرضني"؛ حفظًا للأدب مع الله.

1- انظر:" مدارج السالكين:111/2 لابن القيم- رحمه الله-".

3- سليمان عليه السلام:

وهذا سليمان -عليه السلام- سخَّر اللهُ له الجِنَّ والطير والريح وآتاه الحكمة وفَصْل الخطاب، فلم يتكبَّر ولم يتعالَ؛ بل كان متواضِعًا مُتأدِّبًا مع الله **فعندما سمع قول النملة:** ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة النمل:19).

4- أيوب عليه السلام:

وهذا نبي الله أيوب -عليه السلام-، **يقول في دعائه:** ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (سورة ص:41) **وعندما نَادَى رَبَّهُ فقال:** ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (سورة الأنبياء:83).

فلم ينسب الضر إليه سبحانه، **ولم يقل:**" فعافني واشفني"، **فاستجاب له ربُّه على الفور:**﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (سورة الأنبياء:84).

5- موسى عليه السلام:

وهذا موسى عليه السلام: مطارد ومجهد ومُهدَّد ومُتْعَب ومع ذلك يتودَّد لربِّه: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾(سورة القصص:24)، ولم يقل: أطعمني، أو اسقني، فأكرمه ربُّه بزوجةٍ ومسكنٍ وراتبٍ، **وقال له ربُّه:** ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (سورة طه:39).

6- الخَضِر عليه السلام:

وهذا الخَضِر عليه السلام، **قال عن السفينة:**﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾(سورة الكهف:79)، ولم يقل:" فأراد ربُّك أن أعيبها"، **وقال عن الغلامين:** ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ (سورة الكهف:82)

7- عيسى عليه السلام:

قال الله تعالى لعيسى -عليه السلام-: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (سورة المائدة:116)، **قَالَ عيسى عليه السلام:** ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ **ولم يقل:**" لم أقله"، وفرْقٌ بين الجوابين في حقيقة الأدب، ثم أحال الأمر إلى عِلْمِه سبحانه بالحال وسِرِّه، **فقال:** ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ ثم برأ نفسه عن علمه بغيب ربِّه، وما يختصُّ به سبحانه، **فقال:** ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾، ثم أثنى على ربِّه، ووصفه بتفرُّده بعلم الغيوب كلها، **فقال:** ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة:109)، ثم أخبر عن شهادته عليهم مدة مقامه فيهم، وأنه بعد وفاته لا اطِّلاع له عليهم، وأن الله عز وجل وحده هو المنفرد بعد الوفاة بالاطِّلاع عليهم، **فقال:** ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي

﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ (سورة المائدة: 117)، ثم وصفه بأن شهادته سبحانه فوق كل شهادة، فقال: ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، ثم قال: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ (سورة المائدة:118)، وهذا من أبلغ الأدب مع الله تعالى في مثل هذا المقام. ومع استحقاقهم للعذاب قال: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. ولم يقل:" الغفور الرحيم"، وهذا من أبلغ الأدب مع الله تعالى، فإنه قال في وقت غضب الربِّ عليهم، والأمر بهم إلى النار، فليس هو مقام استعطاف ولا شفاعة؛ بل مقام براءة منهم.

8- سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ:

يقول عنه رب العالمين: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ (سورة النجم:17)، وهذا وصف لأدبه في ذلك المقام، إذ لم يتجاوز البصر ما رآه، وهذا لكمال أدبه، فإنه أقبل على الله بكليته، وللقلب زيغ وطغيان، كما للبصر زيغ وطغيان، وكلاهما منتف عن قلبه وبصره ﷺ، فلم يزغ قلبه التفاتًا عن الله إلى غيره، ولم يطغ بمجاوزته مقامه الذي أقيم فيه، وهذا غاية الكمال والأدب مع الله.

9- مؤمني الجن:

وكذلك قول مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾(سورة الجن:10)، ولم يقولوا:" أراد بهم ربهم"، ثم قالوا: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (سورة الجن:10).

فمن كمال الأدب مع الله تعالى ألا يُنسَب إليه إلا كلُّ جميل، مع اعتقادنا أنه خالق الخير والشر، وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

وتأمل حال أولئك المصطفين الأخيار، وحال إبليس عليه لعنة الله وهو يخاطب ربَّ العالمين بقوله: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (سورة الأعراف:16)، أين الثَّرى من الثُّريَّا؟

وأخيرًا أحبتي في الله...اعلموا أنه لا ينتفع بتلك الآداب إلا من قدَّر الله حق قدره، وعظمه كما ينبغي أن يُعظم.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثَمَّ خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك